أكاذيب نحبُّها

ياســـر الأطرش

مدارك

تمت رقمنة هذا الكتاب ضمن برنامج النشر الرقمي

هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission

أكاذيب نحبُّها

قصص وتحقيقات عن أشهر قصائد العرب

ياسر الأطرش

كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقـلِ مشيراً في صبحهِ والمساءِ

المعري

سيكون من الصعب علينا تقبُّل نسف شيء من تراثنا الذاتي، الأشياء التي حفظناها وباهينا بها، سنشعر بالإهانة ربما، من هذا المتهور الذي سيخبرنا الآن، أنَّ قصيدة "صوت صفير البلبلِ" -التي جعلناها حُجَّةً في عظمة لغتنا- ما هي محض هراء وأخطاء متراكمة بعضها فوق بعض!.. وكذا قصيدة "تعلق قلبي طفلة عربية"، رائعة امرئ القيس التي تغنى بها كبار مطربينا.. من هذا الذي سيجرؤ على نسفها وتتفيهها معنىً ومبنى؟..

إنه أنا أيها السادة.. ولستُ الأول في هذا الميدان، فقد سبقني كثيرون، ولكنَّ أصواتهم ضاعت في زحمة سوق التدليس وأصوات باعة الوهم العالية.

هنا جمعت لكم أكاذيبَ تحبونها، فنَّدتُ بعضها بالدليل العلمي والتاريخي، وقصصت عليكم في مرات أخر حكايات قصائد تعرفونها ويغفل بعضكم عمّا وراءها.. ولم أشأ أن أكون متقعراً، فالمادة ليست بحثية جافة، وإنما تجمع ما بين التوثيق والتحقيق العلمي المثبت بالمصادر، والمتعة المتأتية من أسلوب القص البسيط.. فكل فنٍ يخلو من الإمتاع أولى به أن يخرج من سباق القلوب والعقول، وما أظننا في زمن الفقر الروحي هذا، بحاجة إلى المزيد من الخطابات الخشبية المتعالية.

وهذه المادة التي قسمتها إلى ثلاثة أبواب (تحقيقات، أسرار القصائد، محكيّات)، هي جهد عامين كاملين في برنامج (ضمائر متصلة) الثقافي (2021- 2022)، من إعدادي وتقديمي، والذي يُعرض على تلفزيون سوريا، وهي ليست قولاً فصلاً لا يُردُّ عليه، بل يؤخذ منه ويضاف عليه، وصولاً إلى الصورة الأكمل المشتهاة.

ياسر الأطرش

تحقيقات

أكبر كذبة على امرئ القيس

تحقيق قصيدة "تعلَّقَ قلبي طفلةً عربيةً"

تعلَّقَ قلبي طفلةً عربيةً

تنعَّمُ في الديباج والحُلي والحُلل

قصيدة شهيرة جداً، غناها طلال مداح وهيام يونس بلحنين مختلفين في سبعينات القرن الماضي، وكتبوا بكل ثقة على الألبوم إنها من كلمات الشاعر الجاهلي الأشهر امرئ القيس بن حُجرا!.

المصيبة لم تقف هنا، فيكفي أن نجري بحثاً على الإنترنت لنعرف كم تورطنا في تبجيل هذه القصيدة وإلصاقها بامرئ القيس، واتخاذها أو اتخاذ بعض أبياتها دليلاً لا يُدحض على عظمة اللغة العربية وإعجازها!..

والحقيقة أنها دليل على كارثية نظرتنا لمواضع إعجاز لغتنا المبجلة..

العظمة المفترضة هي في الأبيات التي يتبارى الناس في حفظها والقدرة على نطقها بشكل صحيح، ومنها:

فَهِي هِـي وهِـي هي ثـمَّ هِـي هِي وهي وَهِي مُنىً لِي مِنَ الدُّنيا مِنَ النَّاسِ بالجُمَل

أَلا لا أَلَا إِلَّا لآلاءِ لابِـــــــثٍ ولا لَا أَلَا إلا لِآلاءِ مَـــــن رَحَـــل

فكَم كَم وكَم كَم ثمَّ كَم كَم وكَم وَكَم قَطَعتُ الفَيافِي والمَهَامِهَ لَم أَمَل

وكــافْ وكَفكــافْ وكَفْــي بِكَفْهَــا وكـافْ كَفُـوفُ الـوَدقِ مِن كَفِّها انهَمل

فَلَو لَو ولَو لَو ثمَّ لَو لَو ولَو ولَو دَنَا دارُ سَلمى كُنتُ أَوَّلَ مَن وَصَل

وعَن عَن وعَن عَن ثمَّ عَن عَن وعَن وَعَن أُسَائِلُ عَنها كلَّ مَن سَارَ وارتَحَل

وفِي وفِي فِي فِي ثمَّ فِي فِي وفِي وفِي وفِي وجنَتَي سَلمَى أُقَبِّلُ لَم أَمَل

وسَل سَل وسَل سَل ثمَّ سَل سَل وسَل وسَل وسَل دَارَ سَلمى والرَّبُوعَ فكَم أَسَل

هذه الترَّهات التي ليس لها معنى ولا مبنى، وهي تقع في باب الأحجيات والرهانات الشعرية المبتذلة، وردت حسب تخريج القصيدة في ديوان امرئ القيس بتحقيق الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور محمد علي الشوابكة، في كتاب "العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين"، وهو كتاب من جمع المستشرق وليم بن الورد، طبع في مدينة غريفزولد ببريطانيا في أواخر ديسمبر من عام 1899 م، يعني أمس!..

والقصيدة في الكتاب وردت بصورتين تختلفان في بعض الألفاظ وفي عدد الأبيات، فالأولى تضم 49 بيتاً، أما الثانية فتضم 32 بيتاً فقط.

والقصيدة بصورتيها أيضاً في موجودة في كتاب (العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين) طرفة وزهير وامرؤ القيس، وهذا الكتاب نشر لأول مرة بالمطبعة اللبنانية ببيروت سنة 1886 بنفقة لطف الله الزهار.
وبناء عليه، وعلى استشارتنا للمتخصص في الأدب الجاهلي الدكتور حكمة شافي الأسعد، فإن أول من نشر هذه القصيدة بصورتيها هو الخواجة لطف الله الزهار عام 1886. والمستشرق وليم بن الورد عام 1899 ميلادية.

فالقصيدة ترجع إلى عهد متأخر جداً، غالباً في القرن التاسع عشر، ويُقال إنها ربما تكون للشاعر العماني سالم الكراني، ولكن لا تأكيد لذلك.

إذن استمتعوا بالأغنية أيها الأحبة، فقد اختاروا أبياتاً خفيفة منها تصلح للغناء، ولكن رُدُّوها إلى مصدرها ولا تتهموا اللغة بها، ولا تزيدوا جرحاً أو قرحاً في جسد "ذي القروح".

إذا نطق اللئيم فلا تُجِبْهُ

قصيدة حائرة بين الشافعي وآخرين

إذا نطق اللئيم فلا تجبهُ

فخيرٌ من إجابتكَ السكوتُ

أو

إذا نطق السفيه فلا تجبهُ

فخيرٌ من إجابتك السكوتُ

وباختلاف لفظ اللئيم والسفيه فقط توزعت نسبة هذا البيت الشهير بين الإمام الشافعي والمؤمِّل بن أميل المحاربي، وقد عاصرا بعضهما، فالإمام الشافعي ولد عام 150 للهجرة، وتوفي 204 هجرية، أما المؤمل فهو سابق له وعاصره أيضاً، فقد ولد نحو 83 للهجرة وعاش أكثر من مئة عام، وتوفي نحو 189 هجرية..

والمؤمِّل بن أميل المحاربي، شاعر كوفي أدرك الدولة الأموية إلا أنه عُرف واشتهر في الخلافة العباسية، وله قصص وأشعار سارت بين العرب، ومما صح نسبته إليه القصيدة

التي تضم البيت الشهير إذا نطق اللئيم فلا تجبه، وقد وردت وفق توثيق الموسوعة الشعرية على النحو الآتي:

عجبتُ لَمن يُطيَّبُني بِمسكٍ ... وبي يَتَطَّيبُ المِسكُ الفَتيتُ

خلاخِيلُ النَّساءِ لها وَجيبٌ ... ووسواسٌ وخَلخَالي صَمُوتُ

ولو أن النَّساءَ غَنينَ يوماً ... عن المسكِ الذَّكي كما غَنيتُ

لأصبحَ كُلُّ عَطَّارٍ فَقيراً ... قليلاً ما له ما يَستَبيتُ

إذا نَطَق اللئيمُ فلا تُجبه ... فَخيرٌ من إجابتِك السّكوتُ

لئيمُ القومِ يَشتُمني فَيخطِي ... ولو دَمَهُ سَفكتُ لما خَطيتُ

فلستُ مُشاتِماً أبداً لئيماً ... خَزيتُ لمن يُشاتِمه خَزيتُ

أما الأبيات التي وردت في ديوان الشافعي فهي:

إذا نطق السّفيهُ فلا تُجِبهُ

فخير مِن إجابتِه السكوتُ

فإن كلَّمتَه فرَّجتَ عنه

وإن خَلَّيتَه كمداً يموتُ

سَكَتُّ عنِ السفيهِ فظن أنّي

عَيِيتُ عن الجوابِ وما عَيِيتُ

ونحن هنا ننقل الروايات المثبتة ولا نجتهد في نسبة أو نفي..

لكن المفاجأة أن القصيدة أو القطعة الشعرية تلك منسوبة ضمن صياغة مطابقة لتابعيٍّ هو أقدم من الاثنين، وهو عمر أو عمرو بن علي بن أبي طالب، المولود عام 13 للهجرة،

أما وفاته فمختلف فيها وأشهر الأقوال أنها كانت عام 72 هجرية، أي أنه عاش ومات قبل المؤمل وقبل الشافعي.

وليس للرجل ديوان شعر مطبوع، لكن له قطع شعرية تناقلتها كتب التراث، ومنها قصيدتنا التي نتحدث عنها، إذ وردت في كتاب "أمثال الحديث" للقاضي أبي محمد الحسن الرامهرمزي، المتوفى 360 للهجرة، وجاء في نص الكتاب:

وكما قال الآخر:

إذا نطق السّفيهُ فلا تُجِبهُ

فخير مِن إجابتِه السكوتُ

سَكَتُّ عنِ السفيهِ فظن أنّي

عَيِيتُ من الجوابِ وما عَيِيتُ

وهذان البيتان يرويان لعمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

هذا ما جاء حرفياً في الكتاب..

ومن كل ما سبق لا نستطيع أن نجزم بنسبة الأبيات لأحد ونفيها عن الآخر، إذ ربما يكون أحدهم قد بنى على البيت المفتاحي في القصيدة: إذا نطق السفيه فلا تجبهُ..

ولكن أردنا أن نضع بين أيديكم الروايات المختلفة الموثوقة، على أن الأهم في الموضوع وزبدته أن الكل أجمع على فضيلة التغافل عن السفيه واللئيم، وما أحوجنا إلى هذا في زمننا، زمن وسائل التواصل وتكاثر الحمقى والسفهاء، وقانا الله وإياكم شرهم المستطير.

قصيدة مدسوسة على الإمام علي بن أبي طالب

القصيدة الشهيرة المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب وهي مستفتح ديوانه:

الناسُ من جهة التمثال أكفاءُ أبوهمُ آدمٌ والأمّ حواءُ

نَفسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشاكَلَةٌ وَأَعظُمٌ خُلِقَت فيها وَأَعضاءُ

وَإِنَّما أُمَّهاتُ الناسِ أَوعِيَةٌ مُستَودِعاتٌ وَلِلأَحسابِ آباءُ

فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ يُفاخِرونَ بِهِ فَالطينُ وَالماءُ

ما الفَضلُ إِلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ

وَقَدرُ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يُحسِنُهُ وَلِلرِجالِ عَلى الأَفعالِ أسماءُ

وَضِدُّ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يَجهَلُهُ وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ

وَإِن أَتَيتَ بِجودٍ مِن ذَوي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسبَتَنا جودٌ وَعَلياءُ

فَفُز بِعِلمٍ وَلا تَطلُب بِهِ بَدَلاً فَالناسُ مَوتى وَأَهلُ العِلمِ أَحياء

يشكك الأديب والمحقق العراقي عامر الرقيبة بنسبة هذه القصيدة للإمام علي، كما عشرات القصائد الأخرى المنسوبة إليه، ويقول في هذه القصيدة: أقدم مصدر مطبوع متوفر لدينا ينسبها لعلي رضي الله عنه هو كتاب (جامع بيان العلم وفضله) لأبي عمر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463 هـ، أي بعد علي بأربعة قرون.

وممن نسبوها للإمام علي بعد ذلك أيضاً: الغزالي في إحياء علوم الدين، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، وغيرهم..

أما المصادر التي نسبت الأبيات لغير علي بن أبي طالب أو لم تنسبها لأحد فهي كالتالي:

أولاً: (الأمثال المولَّدة) لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة 383 هـ وقد ذكر الشطر الأول من المطلع فقط ولم ينسبه لأحد.

ثانياً: (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 هـ إذ أورد الأبيات من دون ذكر صاحبها، وفي كتابه الآخر (الفقيه والمتفقه) قال إنها (تُعْزَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ) مما يدلّ على عدم تيقّنه من نسبتها له.

ثالثاً: (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471 هـ ونسبها لمحمد بن الربيع الموصلي.

رابعاً: (الفتوحات المكية) لمحيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638 هـ ونسبها لعلي بن أبي طالب القيرواني. وقد نبّه حسن حسن زاده الآملي في كتابه (الإنسان الكامل في نهج البلاغة) إلى أنّ كثيراً من أشعار علي بن أبي طالب القيرواني قد نُسبت إلى الإمام علي سهواً نظراً لاشتراك الاسم! وقد ذكر الآملي في كتابه الآخر (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) الأبيات التي مطلعها (الناس من جهة التمثال أكفاء) وقال إنها منسوبة إلى علي القيرواني، معتمداً في ذلك على مصدر منسوب إلى نصير الدين الطوسي المتوفى سنة 672 هـ .

يذكر أن القصيدة لم ترد أبداً بشكل متفق عليه في طبعات ديوان الإمام علي الكثيرة، فهي سبعة أبيات في ديوانه بتحقيق المصطاوي، وستة أبيات بتحقيق خفاجي، وتسعة بتحقيق سالم شمس الدين، وهو أكبر عدد لأبياتها في جميع الطبعات، ونجدها في أربعة أبيات في كتاب "أنوار العقول من أشعار وصي الرسول".

وقد سار عند العرب شطران منها مسرى المثل:

مطلعها: الناس من جهة التمثال أكفاءُ

وعجز البيت السابع: والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

ونحن نثق أنكم من أهل العلم الذين سيواصلون معنا البحث عن الحقيقة في الماضي والحاضر، والأهم في المستقبل.

إنها دمشق يا أولاد الـ....

ليست لمظفرالنواب

"إنها دمشق يا أولاد القحبة.. شقيقة بغداد اللدودة، ومصيدة بيروت، توءم القاهرة، وحلم عمان، ضمير مكة، غيرة قرطبة، مقلة القدس، مِغْنَاجُ المدن وعكاز تاريخٍ لخليفة هرم.

إنها دمشق امرأةٌ بسبعة مستحيلات، وخمسةِ أسماء وعشر ألقاب، مثوى ألف ولي ومدرسةُ عشرين نبي..

إنها دمشق الأقدم والأيتم، ملتقى الحلم ونهايتُه، بداية الفتح وقوافله، شرود القصيدة ومصيدة الشعراء.

إنها دمشق التي تحملت الجميع، قوّادين وحالمين، صغار كسبة وثوريين، عابرين ومقيمين، مدمني عضها مقلمي أظفارها وخائبين وملوثين، طهرانين وشهوانيين....

إنها دمشق لا تحب أحداً، ولا تعبأ بكارهيها، متغاويةٌ ووقحة تركل عشاقها خارجاً بقسوة نادرة كي لا ينسفح الكثير من دمهم، وتتفرغ للغرباء الذين ظنوا أنفسهم أسيادها ليستفيقوا فجأة وإذ بهم عالقين تحت أظافرها.

دمشق لا تُقسم إلى محورين، فليست كبيروت غربية وشرقية، ولا كما القاهرة أهلي و"زملكاوي" ولا كما باريس ديغول وفيشي ولا هي مثل لندن شرق وغرب نهر التايمز ولا كمدن الخليج العربي مواطنين ووافدين ولن تكون كعمّان فدائيين وأردنيين، ولا كبغداد منطقة خضراء وأخرى بلون الدم.

دمشق مكان واحد فإذا طرقت باب توما ستنفتح نافذة لك من باب الجابي، وإذا أقفل باب مصلى فلديك مفاتيح باب السريجة وإذا أضعت طريق الجامع الأموي، ستدلك عليه كنيسة السيدة".

هذا جزءٌ من نص طويلٍ نُسب وما زال يُنسب إلى الشاعر العراقي الراحل مظفر النواب، ستجدونه يملأ صفحات فيسبوك وتويتر مذيلاً باسم مظفر، لإضفاء نوع من الإغراء، فقط كلمة واحدة كانت سبب الإحالة إلى النواب، وهي "أولاد القحبة" التي اشتهر بها في قصيدة القدس.

لكن النص في الحقيقة للكاتب والروائي السوري فادي عزام، الذي تململ منذ زمن من نسبته إلى مظفر ونشر موضحاً ذلك عام 2014، في صحيفة دحنون، يقول:

"كُتب هذا النص (إنها دمشق يا أولاد ال...) ونشر في "جريدة أكسجين" الثقافية التي تصدر من الإمارات في العدد 21 بتاريخ 6-11-2005.

النص نُقل كثيراً، بعضهم نقله بأمانة وإشارة إلى كاتبه والموقع الذي يحتفظ بحق النشر. وبعضهم لم يذكر، وبعضهم نسبه إلى نفسه واعتذر لاحقاً. وبعضهم لم يعتذر بنسبة النص إلى الشاعر الكبير مظفر النواب.. يعني من أجمل ما قيل في نصي، ولكن أعتقد أن شاعرنا الكبير بمستواه وتاريخه لن نرتقي لمكانته. سواءاختلفنا معه أو اتفقنا".

ويوضح فادي عزام أن الصحفي العراقي جمال محمد تقي، هو المتسبب بنسبة النص إلى مظفر، وتجييره سياسياً، بعد تفجيرات الأربعاء الدامي في بغداد عام ٢٠٠٩.. حينها شنت حكومة بغداد والمالكي تصعيداً على حكام دمشق، فقام الصحفي بنسبة النص إلى مظفر وأقحمه في سجال آخر.

النص صدر مطبوعاً عن دار ميريت في القاهرة عام 2010 بعد أن رفضته الرقابة السورية مع مجموعة أخرى من 23 نصاً بعنوان (تحتانيات).

أعدت التوضيح بخصوص النص، يقول عزام، ونشرته مطبوعاً في صحيفة القدس العربي بنفس السنة.

وأيضاً ظل الموضوع دون جدوى، بقي ينتشر كنص لمظفر النواب حتى قامت باحثة عراقية مختصة بشعر النواب بالكتابة عن ظاهرة نسب هذا النص.

وقامت قناة "الإخبارية السورية" بسرقة علنية رغم معرفتها بصاحب النص، وجيروه لمصلحة نظام الأسد، بعد حذف ما أرادوا منه سنة 2013

وردت عليهم الإعلامية نسرين طرابلسي بمقال عن السرقة الموصوفة في صحيفة القدس العربي. كما سجل الأديب فادي عزام النص بصوته ونشره في يوتيوب عام 2010، ولكن.. كل ذلك كان بلا جدوى، وما زلنا إلى اليوم نرى النص منسوباً إلى مظفر بكل إصرار!.. إنه زمن وسائل التواصل أيها الأحبة.. قل ما تشاء وانسب إلى من تشاء، في عالم لا حسيب ولا رقيب فيه.

إنَّ حظي كدقيقٍ فوق شوك نثروه

ليست له.. لكنها على مقاس الشاعر إدريس جماع

إن حظي كدقيقٍ فوق شوكٍ نثروه

ثم قالوا لحفاةٍ يوم ريحٍ: اجمعوه

صعب الأمر عليهم قلت يا قوم اتركوه

إن من أشقاه ربي كيف أنتم تسعدوه؟

هذه الأبيات الشهيرة جداً، ضاع نسبها وفبركت الذاكرة الشعبية حولها قصصاً تناسب الحال، وللأسف فقد تبنتها بعض المصادر الأدبية التي من المفترض أن تكون مرجعية للباحثين؛ فضلاً عن الجمهور..

القصيدة أو القطعة نُسبت للشاعر السوداني إدريس جماع (1922- 1980)، الذي أُلصقت به قصص وقصائد أخرى شهيرة، وهو منها براء!..

إلا أن باحثين ومحققين نفوا صلتها بإدريس جماع، قائلين إنها قطعاً للشاعر المصري عبد الحميد الديب (1943- 1998) وهو من أهم الشعراء الصعاليك في العصر الحديث..

الباحثون الذين نسبوا الأبيات لعبد الحميد الديب احتجوا أنه لم يعثر عليها في ديوان إدريس جماع الوحيد (لحظات باقية)، وأنها قد وردت ثلاث مرات في كتاب (الصعلوك الساخر وشعره المجهول: عبد الحميد الديب) الذي نشرته دار الكتاب العربي في دمشق والقاهرة، وطبعته دار القبس وصدرت الطبعة الأولى منه عام 2005م، ومؤلفه هو الأستاذ محمد محمود رضوان من مصر، وقدم له الشاعر فاروق شوشة.. وقال محمد رضوان مؤلف الكتاب في دفاعه عن صحة نسبة الأبيات للديب إن المقربين من عبد الحميد الديب قالوا إنه نظمها عام 1939م وكان عمر إدريس جماع في السابعة عشر من عمره تقريباً، ولم يكن قد دخل عالم الأدب والكتابة بعد.

لكن المفاجأة جاءت على يد الباحث إبراهيم الحقيل الذي أشار في مقال له في مجلة اليمامة إلى أن الأبيات لشاعر يُدعى اللّبادي؛ وهو ما ذكره الخوارزمي (توفي 430 هجري) في كتابه (المناقب والمثالب) ص320 وبتحقيق الباحث إبراهيم صالح، وقد عدنا إلى الكتاب المتاح للتحميل في مواقع الكتب، ووجدنا بيتين من القصيدة في الصفحة 320 منسوبة إلى شاعر يُدعى اللبادي فعلاً وبالصياغة الآتية:

إن رزقي كدقيقٍ بين شوكٍ بددوه

ثم قالوا لحفاةٍ يوم ريحٍ: اجمعوه

إذن هذان البيتان هما لشاعر عباسي من شعراء القرن الرابع الهجري، لم يصلنا الكثير من أشعاره أو أخباره.. وإذا صحت نسبة القصيدة إلى عبد الحميد الديب فإنه غالباً أخذ البيتين؛ فغيّر في البيت الأول كلمتين، وأبقى الثاني على حاله، وأضاف البيتين الثالث والرابع.. والبناء على قصيدة قديمة أمر وارد في الشعر العربي.

أما نسبة القصيدة للشاعر السوداني إدريس جماع فهو غير وارد؛ إذ لا دليل عليه، ولا وجود للقصيدة في ديوانه الوحيد، وما يعزز إنكار نسبة القصيدة إليه أن معظم القصص المنسوبة إليه في جنونه ورحلة لندن هي قصص جديدة من نسج المخيال الشعبي.

جرى مدمعي فوق المحاجر وانهمل

رثاء منسوب لخالد بن الوليد

جَرَى مدمعي فوق الْمَحَاجِرِ وانْهَمَلْ

وحَرُّ الغَضَا قدْ زَادَ في القَلْبِ واشْتَعَلْ

وهَدَّ فُؤَادِي يَوْمَ أُخْبِرْتُ نَعْيَهُ

وضَاقَتْ بِيَ الدُّنيا ودَمْعِيَ قد هَطَلْ

وزَادَتْ بِيَ الأحْزَانُ والْهَمُّ ضَرَّنِي

وعَنْ قَلْبِيَ الْمَحْزُونِ بِاللهِ لا تَسَلْ

سَأَبْكِي عَلَيْهِ كُلَّمَا أَظْلَمَ الدُّجَى

وما ابْتَسَمَ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وما اسْتَهَلْ

لقَدْ كانَ بَدْرًا زَائِدَ الْحُسْنِ طَالِعًا

فأَصْبَحَ بَعْدَ النُّورِ والزَّهْوِ قدْ أفَلْ

وكانَ كَرِيمَ العَمِّ والْخَالِ سَيِّدًا

إذَا قَامَ سُوقُ الْحَرْبِ لَمْ يَعْرِفِ الْوَجَلْ

أحَاطَتْ بِهِ خَيْلُ اللِّئَامِ بِأَسْرِهِمْ

وقَدْ مَكَّنُوا مِنْهُ الْمُهَنَّدَ والأسَلْ

فَوَاأسَفَا لَوْ أنَّنِي كُنتُ حَاضِرًا

بِأبْيَضَ مَاضٍ لِلْجَنَاحَيْنِ مُنتَصِلْ

تَرَكْتُهُمُ وَسْطَ الْمَعَامِعِ جِيفَةً

عَلَيْهَا تُسَاقُ الطَّيْرُ في السَّهْلِ والْجَبَلْ

وحَقِّ الَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ لِبَيْتِهِ

وأرْسَلَ طَهَ الْمُصْطَفَى غَايةَ الأمَلْ

لأقْتُلَ مِنْهُمْ في الوَغَى ألفَ سَيِّدٍ

إذَا سَلَّمَ الرَّحمنُ واتَّسَعَ الأجَلْ

تُنسب هذه المرثية إلى الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، في ابنه سليمان عندما أتاه خبر مقتله في أحد المعارك، وهي مبثوثة في بعض كتب الأخبار، ويتبناها الناس في مواقع التواصل ويتداولونها على أنها من عيون الرثاء، والغريب أنَّ أحداً لم يشكك بنسبتها إلى خالد بن الوليد، على أن بُطلان هذا النسب أوضح من أن يخفى على أي عارف بأطراف الشعر واللغة.

القصيدة وردت في كتاب "فتوح الشام" للواقدي، المتوفى عام 207 للهجرة، والمشهور بصناعة الأحداث والزيادة في التاريخ والمبالغات، حتى إن أهل العلم والتاريخ ينكرون الأخذ منه، يقول الإمام أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب، ويقول الشافعي: كتب الواقدي كذب، أما ابن تيمية فقال: "وقد عُلِم كلام الناس في الواقدي، فإن مَا يذكره هو وأمثاله إنمَا يُعتضَد به ويُستأنَس به، وأما الاعتماد عليه بمجرده في العلم، فهذا لا يصلح"، وقال

عنه الذهبي: جمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، وكتابه يحتوي على الكثير من الحشو والأساطير .

طبعاً هنالك نُسخٌ كثيرة متباينة من الكتاب، أما طبعته الأولى، فكانت على يد المستشرق الإيرلندي وليم ناسو، عام 1854 ميلادية، ومعروف أن تحقيقات المستشرقين حوت الكثير من المغالطات والدس، وهذه القصيدة واحدة منها، بدليل لغتها التي لا تحتاج بياناً ولا نقاشاً حول ركاكتها وجِدَّتها، فهي وفق أستاذ الأدب الجاهلي د. سليمان الطعان، لا يمكن أن تنتمي إلى القرن الأول الهجري، كما أن اسم "طه" الوارد فيها لقباً للرسول الكريم، هو من المحدثات، ولم يكن شائعاً أبداً في تلك المرحلة، ولا يمكن مطلقاً العثور عليه في أدب تلك الحقبة لا في الشعر ولا في كتب النثر.

أما إن سألتم لمن القصيدة: فالجواب أنه لا أحد يعرف ولا يمكن لأحدٍ أن يعرف، ففي العصور الوسطى اشتغل المؤلفون الشعبيون المجهولون في الدس والانتحال وتحويل الرواية التاريخية إلى رواية أسطورية، وجاء المستشرقون الذين حققوا لنا كتب تراثنا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ليتبنوا تلك الروايات ويضعوها في الكتب على أنها وثائق..

يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً

هل ذبح حاتم الطائي فرسه لضيوفه؟

قصص كثيرة عن جود حاتم الطائي، رمز الكرم عند العرب، معظمها نسجت الذاكرة الشعبية منها أساطيرَ وأضفت عليها ما يشبع التوق إلى المجد اللامستطاع، ومن أشهر قصص حاتم، قصة ذبح فرسه لضيوفه كما هو شائع في الحكاية الشعبية، وهناك رواية أخرى حول الموضوع تقول إن حاتم افتقرَ ولم يعد يملك سوى فرسه، ووصل الخبر إلى

مسامع ملك الروم آنذاك، فأراد اختبار كرم حاتم، فأرسل إليه رسولاً متنكراً لكي يطلب منه الفرس هدية.

وصل الضيف إلى مضارب طي ونزل ضيفاً على حاتم .ولما لم يكن الطائي يملك إلا فرسه، عمد إليها فعقرها وقدمها لضيفه. فوصلت الرسالة إلى الرسول وعاد بها إلى ملك الروم، ومفادها أن حاتماً يجود بكل ما يملك، ولا يمسك شيئاً عن ضيفه مهما غلا.

هذه الرواية وتلك التي تقول بأن حاتماً ذبح فرسه لضيوف أو عابري سبيل، ليست صحيحة، فالحكاية الأصل قصها علينا ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء"، ومنها سنعرف أن الطائي إنما ذبح فرسه لإطعام أطفال أهلكهم الجوع أو كاد.

يقول ابن قتيبة في الجزء الأول من كتابه "الشعر والشعراء":

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبرَّ أفق السماء، وراحت الإبل حُدباً حدابير (أي عجفاء)، وضنت المراضع عن أولادهما فما تبضُّ بقطرة، وأيقنّا أنه الهلاك، فوالله إني لفي ليلة باردة بعيدةٍ ما بين الطرفين (طويلة)، إذ تضاغى أصيبيتنا من الجوع، عبد الله وعَدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين وقمت إلى الصبية، فوالله ما سكنوا إلا بعد هدأةٍ من الليل، ثم ناموا ونمتُ أنا معه، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفتُ ما يريد فتناومت، فلما تهرتِ النجوم إذا شيءٌ قد رفع كِسر البيت، فقال من هذا؟ فولى ثم عاد في آخر الليل، فقال من هذا؟ فقالت جارتك فلانة.. أتيتك من عند أصيبيةٍ يتعاوون عواء الذئاب من الجوع، فما وجدتُ مُعوَّلاً إلا عليك يا أبا عَدي.. فقال: والله لأشبعنَّهم.. فقلت من أين؟ قال: لا عليكِ.. وقال لها: أعجليهم فقد أشبعكِ الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبيها أربعة، كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فوجأ لبَّتَهُ بمُديته، فخرَّ، ثم كشطه، ودفع المُدية إلى المرأة وقال: شأنَك الآن.. فاجتمعنا على اللحم فقال: سوأة!.. أتأكلون دون القوم؟.. ثم جعل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول: هبوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا، والتفع بثوبه ناحيةً ينظر إلينا، لا والله ما ذاق منه مُزعة، وإنه لأحوج إليه منا، لإاصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظمٌ أو حافر، فعذلته على ذلك، فأنشأ حاتم يقول:

مهلاً نَوارُ أقلي اللوم والعَذَلا

ولا تقولي لشيءٍ فاتَ: ما فعلا

ولا تقولي لمالٍ كنتُ مهلكَهُ

مهلاً، وإن كنتُ أعطي الجنَّ والخَبَلا

يرى البخيل سبيلَ المال واحدةً

إن الجواد يرى في ماله سُبُلا

لا تعذليني َ في مالٍ وصلتُ بهِ

رِحماً، وخيرُ سبيل المال ما وصلا

(يرى البخيل سبيل المال واحدةً

أما الكريم يرى في مالهِ سُبلا)

وقد كان الجود سبيل حاتم إلى الخلود.. وإن السير على سبيله لممكن.

صوتُ صفيرِ البلبلِ

أكبر خدعةٍ في تاريخنا الأدبي

قصيدة أخرى وقعنا في فخها، وهي تقع في باب التسالي والقصص المتأخرة التي سادت زمنَ التراجع الأدبي والفكري.. عن "صوت صفير البلبل" أتحدث أيها الأحبة.

مما يزدري العقل ويغم النفس أننا نباهي بحفظ أطفالنا وكبارنا لهذه القصيدة المنسوبة ظلماً للأصمعي، أحد أعمدةِ روايةِ الشعر، والعالمِ بعلوم العربية وفنونها.

تقول القصة المأثورة التي نجدها في الدراما والقصص والحكايات الشعبية، إن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كان يضيّق على الشعراء، وكي يمنع عنهم العطاء كان يحفظ القصيدة من أول مرة، ويدعي أنه سمعها من قبل، وكان له غلام يحفظ القصيدة بعد مرتين، فيأتي ويسردها بعد الشاعر والخليفة، وله جارية تحفظ القصيدة من المرة الثالثة، فيأتي بها لتسردها بعد الغلام والخليفة والشاعر، ليؤكد في المحصلة للشاعر بأن القصيدة منحولة منقولة، ويمنعَ عنه العطاء..

وكان الخليفة قد وضع مكافأة للقصيدة التي لا يستطيع حفظها، وزنَ ما كُتبت عليه ذهباً.. سمع الأصمعي بذلك، فأعد قصيدة غريبة وتنكر بزي الأعراب، ودخل على الخليفة وقال: إن لدي قصيدة لم تسمعها من قبل، وألقى عليه:

صوتُ صفير البلبلِ

هيَّجَ قلبي الثملِ

الماءُ والزهر معاً

مع زهرِ لحظِ المقَلِ

وأنت يا سيدَ لي

وسيدي ومولا لي

فكم فكم تيَّمني

غُزَيلٌ عقيقَلي

قطَّفتَه من وجنَةٍ

من لثم ورد الخجلِ

فقال لا لا لا لا لا

وقد غدا مهرولي

والخُود مالت طرباً

من فعل هذا الرجلِ

فولولت وولولت

ولي ولي يا ويل لي..

طبعاً لم يستطع الخليفة ولا غلامه ولا جاريته حفظ القصيدة، فقال للأصمعي: أحضر ما كتبتها عليه لنعطيك وزنه ذهباً. قال الأصمعي: ورثت عمود رخام عن أبي وقد كتبتها عليه... وبقية القصة معروفة، والمقولة أن الأصمعي أراد أن يؤدب الخليفة ويجعله يغدق العطاء للشعراء على نقلهم ومقولهم.

القصيدة، إن صحت تسميتها قصيدة، ورد ذكرها أول مرة منذ نحو 300 عام فقط، ولم تُذكر قبل ذلك قط، علماً أن الحادثة المزعومة جرت في القرن الثاني الهجري أي قبل ألف ومئتي سنة.. أضيفوا إلى ذلك أن الأصمعي ليس شاعراً ولم ينسب له أي كتاب أو مؤرخ هذه القصيدة، حتى جاء بها كتاب (نوادر الخلفاء)، وهو لكاتب مجهول اسمه الإتليدي، وهو كتابه الوحيد، وفيه جمع طرائف أخبار الخلفاء المزعومة.. كما يُعرف الكتاب باسم أحد فصوله "إعلام الناس بما جرى للبرامكة مع بني العباس"، وأول طبعة للكتاب كانت في مصر عام 1279 للهجرة، منذ نحو 160 عاماً فقط، وأول مخطوط له يعود إلى نحو 300 عام من الآن فقط..

كما أن القصيدة المزعومة فيها كمٌّ هائلٌ من أخطاء النحو والعروض واللغة، فهل يقع الأصمعي في مثل هذا وهو الذي قال فيه الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال عنه أبو الطيب اللغوي: كان الأصمعي أتقنَ القومِ للغة، وأعلمَهُم بالشعر، وأحضرهم حفظاً.

وأخيراً، فإن القصيدة تُنسب بلا دليل أيضاً إلى شاعر آخر من شعراء القرن الثالث الهجري اسمه أبو العِجل الماجن.

وفي كل الأحوال، فإن القصيدة تصلح للتسلية واختبار الحفظ، والأسى على تراثنا وما علق به من عوالق الدهر.

يموت ببطء

قصيدة عالمية نُسبت لبابلو نيرودا

يموتُ ببطء
من لا يسافر، لا يقرأ ولا يسمع الموسيقى..
الذي ينكر النّعَمَ في ذاته
فيحطّم اعتزازه بنفسه ولا يتقبل النّصح..
يموت ببطء
من تستعبده العادة
فيكرّر المسالك ذاتها كلّ يوم
الذي لا يجرؤ على تغيير نمط ملابسه، أو لونها
ويخشى التّحدث إلى الغرباء..
يموت ببطء
ذاك الذي يكتم حبّه، ويتجنّب صخب العواطف التي تعيد البريق إلى عينيه وتبلسم القلوب المحطّمة..
يموت ببطء
من لا يعدّل مسار حياته حين لا يكون سعيدًا في العمل أو الحبّ..
من لا يجازف سعيًا وراء حلم مستحيل، ولو لمرّة واحدة في حياته، غير آبهٍ بالتقاليد...
هذه مقتطفات من القصيدة العالمية الشهيرة "يموت ببطء" بترجمة لينا الحسيني، القصيدة التي يتداولها الناس في وسائل التواصل يستقون منها الحكمة والدافع،

ويستشهد بها الأدباء والنقاد في مقالاتهم وأبحاثهم، على أنها للشاعر التشيلي العالمي بابلو نيرودا الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام 1971.. ولكن هذه القصيدة ليست لنيرودا، ونحن لسنا أول من يقول ذلك أو يكتشفه، ولكننا جئنا ببينات لم يأت بها أحد من قبل، تكشف تفاصيل القصة كاملة من الألف إلى الياء.

وهذه الحقائق جاءنا بها الكاتب والمترجم المغربي الألماني هشام الوكيلي الذي حقق القصيدة خصيصاً لبرنامج "ضمائر متصلة". يقول هشام إن الحكاية بدأت مع وزير إيطالي اسمه " كليمنتي ماستيلا" (زعيم اتحاد الديمقراطيين) حيث اقتبس قصيدة "يموت ببطء" في جلسة لسحب الثقة من رئيس الوزراء الأسبق "رومانو برودي" ونسبها إلى نيرودا عام 2008، ومن عنده كانت البداية ليتم تداول القصيدة لسنوات على الإنترنت دون أن يتمكن أي شخص من إيقاف كرة الثلج تلك، لدرجة أنه في إسبانيا، هناك الكثير ممن تلقوا القصيدة كتهنئة على بطاقات العام الجديد.

أول من تنبّه إلى ذلك مقيمون برازيليون في إيطاليا، تعرفوا إلى قصيدة روائية وشاعرة شهيرة من بلادهم اسمها مارثا ماديروس.

ومنذ ذلك الوقت ظهر عدد كبير من المقالات يدحض نسبة القصيدة إلى نيرودا، ومن أوائل الصحف التي فندت ذلك الجريدة الذائعة الصيت في إسبانياabc في ملحقها الثقافي الصادر بتاريخ 11/01/2009 ونَسَبتها إلى صاحبتها الشاعرة والروائية والصحفية البرازيلية مارثا ماديروس من مواليد 1961.

الكتاب الذي جاءت فيه القصيدة هو بعنوان "ما بوسعي" وهو باللغة البرتغالية، اللغة الأصلية للمؤلفة، طبع سنة 2019 وهو متوفر في متجر أمازون. ويضم القصيدة التي كتِبت في عام ألفين أو ألفين وواحد.

ويؤكد لنا المترجم هشام الوكيلي أنه عاد إلى الترجمات العربية لنيرودا، سواء منتخبات أعماله التي صدرت عام 2003 أو الترجمة الأشهر لأعماله إلى العربية لكامل يوسف حسين، ولم يجد القصيدة المزعومة.

ولكي يطمئن قلبه وقلبنا أكثر، قام الوكيلي بمراسلة مؤسسة نيرودا رسمياً في الموضوع، ليأتيه الرد من السيد "داريو أوسيس" بالنص التالي:

"عزيزي الكاتب:

هذه القصيدة ليست لبابلو نيروا، تم إرفاق مقالة موجزة عن هذا الموضوع".

وأرفقت مؤسسة نيرودا مقالة تنفي نسبة القصيدة إلى شاعر تشيلي الأشهر بابلو نيرودا، جاء فيها أن القصيدة هي للكاتبة البرازيلية مارثا ماديروس، وأشاروا إلى نسبة قصيدتين أخريين لنيرودا وهو منهما براء، هما قصيدة "حرام" وقصيدة "يشكو أبداً".. فإذا مررتم بهذه العناوين فأعرضوا عنها، أخص بحديثي الشعراء والنقاد الذين تورطوا في نسبة نص "يموت ببطء" لنيرودا من دون العودة إلى المصادر المعتمدة، فكانوا سبباً في شيوع الخطأ في حين أن المأمول منهم تصويبه.

ونشير إلى أن المترجم والكاتب هشام الوكيلي حقق القصيدة في المراجع العربية والإسبانية والبرتغالية والإنكليزية.

لحسان بن ثابت أم لصحابية مجهولة؟

شكوك في نسبة أشهر بيتين في مدح الرسول (ص)

من أشهر ما جاء في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم البيتان المنسوبان لحسّان بن ثابت إذ يقول:

وأحسنُ منك لم ترَ قطّ عيني وأجملُ منك لم تلد النساءُ

خُلقتَ مبرّءاً من كلّ عيب كأنّك قد خُلقتَ كما تشاءُ

لكن هل هما لحسان بن ثابت حقاً؟

الشاعر والمحقق العراقي عامر الرقيبة تتبع البيتين ووصل إلى عدم وجودهما في المخطوطات الستّة التي اعتمد عليها الدكتور وليد عرفات في تحقيقه ديوان حسّان بن ثابت، وقد قسّم تحقيقه إلى ثلاثة أجزاء وسمّى الجزء الثالث (زيادات من غير مخطوطات الديوان) وأورد فيه هذين البيتين وقد أخرجهما من كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للأبشيهي المتوفى سنة 852 هـ الذي نسبهما لحسان، ولعلّه أقدم كتاب نسب البيتين له.

واصل عامر الرقيبة بحثه فوجد البيتين في طبعة حجرية لكتاب أقدم من المستطرف وهو (ديوان الصبابة) لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي المتوفى سنة 776 هـ وقد نُسِب البيتان فيه إلى حسّان. وهذا الكتاب طُبع بخط الأستاذ الشعراني سنة 1279 هـ، لكن عند التحقق في مخطوطتين للكتاب وهما مخطوطة دار الكتب المصرية التي نُسخت في القرن الحادي عشر الهجري تقريباً ومخطوطة جامعة الملك سعود التي نُسخت في القرن الحادي عشر الهجري أيضاً، لم يجد المحقق البيتين مما يدلّ على أنّ الزيادة التي في الطبعة الحجرية جاءت من كيس الخطاط الأستاذ الشعراني أو من كيس أحد الأدباء الذين اعتنوا بتصحيح الكتاب. وهذا يجعلنا نستبعد كتاب ديوان الصبابة من قائمة الكتب التي ورد فيها البيتان.

ثم عثر الأستاذ عامر الرقيبة على البيتين في كتاب (بهجة المحافل وبغية الأماثل) ليحيى بن أبي بكر العامري الشافعي المتوفى سنة 893 هـ وقد نسبهما بصيغة التمريض إلى امرأة خاطبت النبيّ صلى الله عليه وسلّم حيث قال: وقيل إنّ امرأة استأذنته في المدح فأذن لها فقالت:

وأنظَرَ منك لم ترَ قطُّ عيني وأحسنَ منك لم تلد النساءُ

حسُنتَ ملاحةً وشرُفتَ ظرفاً كأنك قد خلقت كما تشاءُ

وذكر البيتين في ختام مقطوعة من ثمانية أبيات أبو البركات السويدي المتوفى سنة 1174هـ في كتابه (النفحة المسكية في الرحلة المكية) ونسبها إلى الشيخ عبد الرحمن الموصلي حيث قال: "ومما أنشدنا في ضيافة الطرابلسي في بستان طه زاده قول الشيخ عبد الرحمن الموصلي" ثم ذكر الأبيات.. ولكن من المستبعد أن تكون الأبيات للموصلي المتوفى سنة 1118 هـ لأنها ذكرت في عدة كتب قبل ولادته.

وذكر البيتين أيضاً شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي المتوفى سنة 977 هـ في كتابه (مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج) ولكن دون أن ينسبهما لأحد.

وذكر البيت الثاني فقط محمد أمين بن فضل الله الحموي المتوفى سنة 1111هـ في كتابه (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) دون أن ينسبه لأحد.

وورد ذكرهما من دون نسبة لأحد في كتب عديدة لاحقاً.

المحقق والأديب عامر الرقيبة لم يقطع بنسبة البيتين لحسان بن ثابت من عدمه، ولكنه تساءل بعد بحثه وتقصيه: لماذا لم يذكر البيتان في المخطوطات الستة التي اعتمد عليها الدكتور وليد عرفات في تحقيقه لديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، وإذا كان حسّان بن ثابت قد قال هذين البيتين حقّاً فلماذا لم تذكرهما أمّهات كتب التراث الأدبي السابقة ولم يظهرا إلا بعد مرور ثمانية قرون تقريباً من وفاته؟

أسرار القصائد وحكاياتها

هذه ليلتي

إبداع على هامش نكسة 1967

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر
فتعال.. أحبك الآن أكثر

هذه ليلتي، واحدة من روائع أم كلثوم التي خلدت في الوجدان العربي، وهي القصيدة الوحيدة التي غنتها أم كلثوم للشاعر والأديب اللبناني الشهير جورج جرداق، فكيف وُلدت هذه القصيدة؟

عام 1967 وبعد هزيمة حزيران، قررت أم كلثوم دعم المجهود الحربي المصري في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وذلك بجمع مليون جنيه من حفلاتها، ويشمل ذلك أيضاً التعاون مع شعراء من كل أقطار الوطن العربي.

وفي عام 1968 أحيت أم كلثوم حفلين في لبنان، أعلنت خلال واحد منهما أنها ستغني قريباً أغنية من كلمات شاعر لبناني، دون أن تشير إلى اسمه.

الشاعر الذي لم تذكر كوكب الشرق اسمه كان جورج جرداق الذي تعرفه أم كلثوم وتحب شعره، وهو أيضاً صديق مقرب من الموسيقار محمد عبد الوهاب، الذي تولى مهمة التنسيق للأغنية الموعودة، فأبلغ جرداق في سهرة جمعتهما في مصيف بحمدون بلبنان عام 1967 أن أم كلثوم سألته خلال مكالمة هاتفية عن جورج جرداق وطلبت منه أن يختار قصيدة له ويلحنها لتغنيها.

قرر جرداق أن يكتب قصيدة تليق بسيدة الغناء العربي، وقبل أن يشرع فيها، جمعته سهرة بعبد الوهاب في أحد فنادق بحمدون.. وفيما هما جالسان في الشرفة المطلة على الوادي الساحر، راح جورج جرداق يردّد أبياتاً من قصيدة له عنوانها "هذه ليلتي"، وحين سمعها عبد الوهاب قال: هذه هي القصيدة، رائعة، ولكن الست (أم كلثوم) هي

صاحبة القرار، وكانت قصيدة جورج جرداق تبدأ بمطلع غير الذي عرفه المستمعون فيما بعد.. فكان مطلع القصيدة الأصلية:

هذه ليلتي وهذا العودُ بثّ فيه من سحره داودُ

وفي البيت إشارة إلى النبي داود صاحب المزامير، لكن أمّ كلثوم طلبت تغيير المطلع بسبب تلك الإشارة.
فاستجاب الشاعر لطلب أمّ كلثوم، وأعاد كتابة مطلع القصيدة على النحو الآتي
هذه ليلتي وحلم حياتي بين ماضٍ من الزمان وآتِ
الهوى أنت كلّه والأماني فاملأ الكأسَ بالغرام وهاتِ
بعد حينٍ يبدِّلُ الحبُّ دارا والعصافير تهجر الأوكارا
وديارٌ كانت قديماً ديارا سترانا كما نراها قفارا
سوف تلهو بنا الحياة وتسخر فتعال أحبّك الآن أكثر
وأتمّ عبد الوهاب اللحن، وأدّته أم كلثوم للمرة الأولى في الشهر الأخير من العام 1968على مسرح سينما قصر النيل في القاهرة.
لتصبح الأغنية واحدة من أشهر أغاني كوكب الشرق وأكثرها خلوداً في وجدان الفن العربي على مر الأجيال.

مرحباً يا عراق

القصيدة التي أوصلت نزار إلى بلقيس

في عام 1962 وبينما كان نزار قباني يلقي قصائده في أمسية كلية التربية ببغداد، تسمر نظره وقلبه عند صبية عشرينية فائقة الجمال، آسرة الحضور، وكان اللقاء الأول بينهما على مأدبة غداء في سامراء.
إنها بلقيس الرواي، ابنة حي الأعظمية على ضفاف دجلة، والتي رفض أهلها رفضاً قاطعاً خطبة الشاعر الشهير لها آنذاك، ليس لأنه تغزل بها وشاع أمرهما بين الناس كما يقال، فهذا لم يحصل، ولكن يعود رفض الأهل غالباً لأمرين: أولهما أن نزار كان معروفاً

بشعره النسائي الجريء وخروجه على عادات وتقاليد المجتمع، والثاني أنه يكبر بلقيس بنحو ستة عشر عاماً وأنه مر بزواج فاشل من ابنة خاله زهراء آقبيق انتهى إلى الانفصال بعد طفلين.

عاد نزار إلى إسبانيا حيث كان يعمل في السفارة السورية هناك، لكنه لم يقنع من الغنيمة بالإياب، وظل على تواصل سري مع بلقيسه، حتى كان العام 1969حين تلقى دعوة للمشاركة في مهرجان المربد الشعري في بغداد.

وهناك ألقى نزار قصيدته الشهيرة "إفادة في محكمة الشعر" أمام الحضور في أمسية بثها التلفزيون العراقي وحضرتها شخصيات مرموقة، وهناك من الحضور من كان يعلم مقصد نزار قباني من قصيدته هذه، والتي يقول في مطلعها:

مرحباً يا عِراقُ، جئتُ أغنيكَ وبَعضٌ من الغناء بكاءُ
مرحباً، مرحباً.. أتعرفُ وجهاً حفرتهُ الأيامُ والأنواءُ؟

ثم يشير بوضوح إلى بلقيس من دون أن يسميها، بقوله

مرحباً يا عراقُ، هلْ نسيَتْني بعد طول السنين سامرّاءُ؟
كيفَ أحبابنا على ضفة النَّهر وكيف البساط والنـدماءُ؟
كان عندي هُـنا أميرة حبٍّ ثمَّ ضاعتْ أميرتي الحَسناءُ
أين وجهٌ في الأعظمية حلوٌ لو رأتْهُ تغارُ منه السـماءُ؟

(والأعظمية مسكن بلقيس كما هو معروف).

رق حال السامعين لنزار، وذاعت القصيدة وقصتها بين الناس حتى وصلت إلى مسامع الرئيس العراقي آنذاك، أحمد حسن البكر، الذي أوفد وزير الشباب والرياضة الشاعر شفيق الكمالي، ووكيل وزارة الخارجية الشاعر شاذل طاقة، لخطبة بلقيس، التي أصبحت زوجة نزار في العام نفسه، وعاشا معاً حياة أشبه بالقصيدة حتى عام 1981 الذي شهد مقتل بلقيس في تفجير السفارة العراقية في بيروت، ليظل نزار في حالة حداد على حبيبته حتى آخر إغماضة عين ونبضة قلب، وكأنها التي اختصرت نساءه

جميعاً أو هي المعنية بقوله:
أنت النساء جميعاً ما من امرأة
أحببتُ بعدك إلا خِلتُها كذبا

القصيدة كاملة

إفادة في محكمة الشعر

مرحباً يا عراق جئت أغنيك وبعضٌ من الغناء بكاء

مرحباً مرحباً... أتعرف وجهاً حفرته الأيام والأنواء؟

أكل الحب من حشاشة قلبي والبقايا تقاسمتها النساء

كل أحبابي القدامى نسوني لا نوار تجيب أو عفراء

فالشفاه المطيبات رمادٌ وخيام الهوى رماها الهواء

سكن الحزن كالعصافير قلبي فالأسى خمرةٌ وقلبي الإناء

أنا جرحٌ يمشي على قدميه وخيولي قد هدها الإعياء

فجراح الحسين بعض جراحي وبصدري من الأسى كربلاء

وأنا الحزن من زمانٍ صديقي وقليلٌ في عصرنا الأصدقاء

مرحباً يا عراق كيف العباءات وكيف المها... وكيف الظباء؟

مرحباً يا عراق... هل نسيتني بعد طول السنين سامراء؟

مرحباً يا جسور يا نخل يا نهر وأهلاً يا عشب... يا أفياء

كيف أحبابنا على ضفة النهر وكيف البساط والندماء؟

كان عندي هنا أميرة حبٍ ثم ضاعت أميرتي الحسناء

أين وجهٌ في الأعظمية حلوٌ لو رأته تغار منه السماء؟

إنني السندباد... مزقه البحر وعينا حبيبتي الميناء

مضغ الموج مركبي... وجبيني ثقبته العواصف الهوجاء

إن في داخلي عصوراً من الحزن فهل لي إلى العراق التجاء؟

وأنا العاشق الكبير... ولكن ليس تكفي دفاتري الزرقاء

يا حزيران ما الذي فعل الشعر؟ وما الذي أعطى لنا الشعراء؟

الدواوين في يدينا طروحٌ والتعابير كلها إنشاء

كل عامٍ نأتي لسوق عكاظٍ وعلينا العمائم الخضراء

ونهز الرؤوس مثل الدراويش وبالنار تكتوي سيناء

كل عامٍ نأتي... فهذا جريرٌ يتغنى... وهذه الخنساء

لم نزل لم نزل نمصمص قشراً وفلسطين خضبتها الدماء

يا حزيران... أنت أكبر منا وأبٌ أنت ما له أبناء

لو ملكنا بقيةً من إباءٍ لانتخينا... لكننا جبناء

يا عصور المعلقات مللنا ومن الجسم قد يمل الرداء

نصف أشعارنا نقوشٌ وماذا ينفع النقش حين يهوي البناء؟

المقامات لعبةٌ... والحريري حشيشٌ... والغول والعنقاء

ذبحتنا الفسيفساء عصور والدمى والزخارف البلهاء

نرفض الشعر كيمياءً وسحرا قتلتنا القصيدة الكيمياء

نرفض الشعر مسرحاً ملكياً من كراسيه يحرم البسطاء

نرفض الشعر أن يكون حصاناً يمتطيه الطغاة والأقوياء

نرفض الشعر عتمةً ورموزاً كيف تسطيع أن ترى الظلماء؟

نرفض الشعر أرنباً خشبياً لا طموح له ولا أهواء

نرفض الشعر في قهوة الشعر... دخانٌ أيامهم... وارتخاء

شعرنا اليوم يحفر الشمس حفراً بيديه... فكل شيءٍ مضاء

شعرنا اليوم هجمةٌ واكتشافٌ لا خطوط كوفيةً وحداء

كل شعرٍ معاصرٍ ليس فيه غضب العصر نملةٌ عرجاء

ما هو الشعر إن غدا بهلواناً يتسلى برقصه الخلفاء

ما هو الشعر... حين يصبح فأراً كسرة الخبز همه والغذاء

وإذا أصبح المفكر بوقاً يستوي الفكر عندها والحذاء

يصلب الأنبياء من أجل رأيٍ فلماذا لا يصلب الشعراء؟

الفدائي وحده... يكتب الشعر وكل الذي كتبناه هراء

إنه الكاتب الحقيقي للعصر ونحن الحجاب والأجراء

عندما تبدأ البنادق بالعزف تموت القصائد العصماء

ما لنا؟ مالنا نلوم حزيران وفي الإثم كلنا شركاء؟

من هم الأبرياء؟ نحن جميعاً حاملو عاره ولا استثناء

عقلنا، فكرنا، هزال أغانينا رؤانا، أقوالنا الجوفاء

نثرنا، شعرنا، جرائدنا الصفراء والحبر والحروف الإماء

البطولات موقفٌ مسرحيٌ ووجوه الممثلين طلاء

وفلسطين بينهم كمزادٍ كل شارٍ يزيد حين يشاء

وحدويون! والبلاد شظايا كل جزءٍ من لحمها أجزاء

ماركسيون! والجماهير تشقى فلماذا لا يشبع الفقراء؟

قرشيون! لو رأتهم قريشٌ لاستجارت من رملها البيداء

لا يمينٌ يجيرنا أو يسارٌ تحت حد السكين نحن سواء

لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس وضاعت من قبلها "الحمراءُ"

يا فلسطين، لا تزالين عطشى وعلى الزيت نامت الصحراء

العباءات... كلها من حريرٍ والليالي رخيصةٌ حمراء

يا فلسطين، لا تنادي عليهم قد تساوى الأموات والأحياء

قتل النفط ما بهم من سجايا ولقد يقتل الثري الثراء

يا فلسطين، لا تنادي قريشاً فقريشٌ ماتت بها الخيلاء

لا تنادي الرجال من عبد شمسٍ لا تنادي... لم يبق إلا النساء

ذروة الموت أن تموت المروءات ويمشي إلى الوراء الوراء

مر عامان والغزاة مقيمون وتاريخ أمتي... أشلاء

مر عامان... والمسيح أسيرٌ في يديهم... ومريم العذراء

مر عامان.. والمآذن تبكي والنواقيس كلها خرساء

أيها الراكعون في معبد الحرف كفانا الدوار والإغماء

مزقوا جبة الدراويش عنكم واخلعوا الصوف أيها الأتقياء

اتركوا أولياءنا بسلامٍ أي أرضٍ أعادها الأولياء؟

في فمي يا عراق... ماءٌ كثيرٌ كيف يشكو من كان في فيه ماء؟

زعموا أنني طعنت بلادي وأنا الحب كله والوفاء

أيريدون أن أمص نزيفي؟ لا جدارٌ أنا ولا ببغاء!

أنا حريتي... فإن سرقوها تسقط الأرض كلها والسماء

ما احترفت النفاق يوماً وشعري ما اشتراه الملوك والأمراء

كل حرفٍ كتبته كان سيفاً عربياً يشع منه الضياء

وقليلٌ من الكلام نقيٌ وكثيرٌ من الكلام بغاء

كم أعاني مما كتبت عذاباً ويعاني في شرقنا الشرفاء

وجع الحرف رائعٌ... أوتشكو للبساتين وردةٌ حمراء؟

كل من قاتلوا بحرفٍ شجاعٍ ثم ماتوا... فإنهم شهداء

لا تعاقب يا رب من رجموني واعف عنهم لأنهم جهلاء

إن حبي للأرض حبٌ بصيرٌ وهواهم عواطفٌ عمياء

إن أكن قد كويت لحم بلادي فمن الكي قد يجيء الشفاء

من بحار الأسى، وليل اليتامى تطلع الآن زهرةٌ بيضاء

ويطل الفداء شمساً علينا ما عسانا نكون... لولا الفداء

من جراح المناضلين... ولدنا ومن الجرح تولد الكبرياء

قبلهم، لم يكن هناك قبلٌ ابتداء التاريخ من يوم جاؤوا

هبطوا فوق أرضنا أنبياءً بعد أن مات عندنا الأنبياء

أنقذوا ماء وجهنا يوم لاحوا فأضاءت وجوهنا السوداء

منحونا إلى الحياة جوازاً لم تكن قبلهم لنا أسماء

أصدقاء الحروف لا تعذلوني إن تفجرت أيها الأصدقاء

إنني أخزن الرعود بصدري مثلما يخزن الرعود الشتاء

أنا ما جئت كي أكون خطيباً فبلادي أضاعها الخطباء

إنني رافضٌ زماني وعصري ومن الرفض تولد الأشياء

أصدقائي... حكيت ما ليس يحكى وشفيعي... طفولتي والنقاء

إنني قادمٌ إليكم... وقلبي فوق كفي حمامةٌ بيضاء

افهموني... فما أنا غير طفلٍ فوق عينيه يستحم المساء

أنا لا أعرف ازدواجية الفكر فنفسي... بحيرةٌ زرقاء

لبلادي شعري... ولست أبالي رفضته أم باركته السماءُ

قصائد جفرا

أيقونة حب فلسطينية

الليلة جئناكِ نغّني
للشعر المكتوب على أرصفة الشهداء المغمورين، نُغنّي
للعمّال المطرودين، نغّني
ولجفرا.. سنُغنّي
جفرا الوطن المَسْبيْ
الزهرةُ والطلْقةُ والعاصفة الحمراءُ
جفرا - إنْ لم يعرفْ من لم يعرفْ - غابة بلوطٍ
ورفيفُ حمامٍ.. وقصائد للفقراءُ
جفرا... من لم يعشق جفرا
فليدفنْ هذا الرأس الأخضرَ في الرَمْضاءُ

قصتان لجفرا في التراث الفلسطيني، واحدة ظلت محلية هي جفرا الشاعر الشعبي أحمد عزيز، أما الثانية فاشهرت عربياً وعالمياً، وصاحبها هو الشاعر الفلسطيني الراحل عز الدين المناصرة.

ومن قصة المناصرة وجفرا نبدأ، إذ كتب الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة قصيدته الشهيرة "جفرا الوطن المنسي" عام 1976 ونشرها في الصحافة اللبنانية، ليطير ذكرها

وتصبح أيقونة بعدما غناها مطربون كثر على رأسهم اللبناني مارسيل خليفة.
وجفرا حبيبة الشاعرة المناصرة، هي جفرا النابلسي التي كانت طالبة في إحدى جامعات بيروت عندما جمعتها علاقة حب ونية ارتباط بالشاعر الذي عشقها حدَّ الهيام، إلا أن غدر العدو كان أسرع من فرح مؤجل، فقد صحا شاعرنا في أحد أيام عام 1976 على خبر تفجير وقع على حاجز في الحازمية بلبنان، وهو المكان نفسه الذي استشهد فيه غسان كنفاني، فتح عز الدين الصحيفة ليقرأ اسم محبوبته من بين الشهداء: جفرا النابلسي ... فغرق في الحزن وكتب قصيدة جفرا الوطن المنسي.
أما جفرا التراثية في الغناء الشعبي الفلسطيني، فتعود إلى الشاعر الشعبي أحمد عزيز علي الحسن من قرية كويكات العكاوية، وهو الذي شغف حباً بابنة عمه رفيقة نايف الحسن، وتزوجا، إلا أن زواجهما دام يوماً أو أسبوعاً على الأكثر إما بسبب ضربه لها أو بسبب مشكلة مع أمها وفق الروايات المتوارثة.

وبعد انفصالهما ظل عزيز مشغوفاً بها وألف مجموعة شعرية شعبية بعنوان "جفرا".. ومن ثم أصبح الموضوع رمزياً وأضيفت قصائد شعبية كثيرة حتى صار هنالك فن يمكن أن نسميه "أغاني الجفرا" في التراث الفلسطيني.

وقد التقى صاحب جفرا القصيدة، بصاحب جفرا التراثية، عز الدين المناصرة وأحمد عزيز الحسن، التقيا في بيروت عام 1982ووثق المناصرة بنفسه قصة جفرا التراثية وأكد صحة نسبتها إلى عزيز الحسن.
ومات الرجلان، وعاشا بجفرا..

فتوى القتل بالأحداق!

يحكى أن الفقيه أبا بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري، كان في مجلسه بين طلابه، فدخل عليه رجل ودفع إليه برقعة، فأخذها الفقيه وتأملها طويلاً، ثم قلبها وكتب الجواب على ظهرها، فظن طلابه أنها مسألة فقهية، فإذ الرجل هو الشاعر ابن الرومي، والمكتوب في الرقعة:

يا ابن داود يا فقيه العراقِ
أفتنا في قواتل الأحداقِ
هل عليهنَّ في الجروح قصاصٌ
أم مباحٌ لها دم العشاقِ؟
فكان جواب الفقيه ابن داود:
كيف يفتيكمُ قتيلٌ صريعٌ
بسهام الفراق والاشتياقِ
وقتيل اللقاء أحسن حالاً
عند داود من قتيل الفراقِ
والفقيه ابن داود الظاهري، بالإضافة إلى كونه فقيهاً عالماً، فهو شاعر وصاحب كتاب "الزهرة" الذي يعد من أشهر الكتب التي تناولت موضوع العشق، وتأثر به ابن حزم في كتابه الأشهر "طوق الحمامة"..

البيتان المنسوبان لابن الرومي وردا في ديوانه، أما القصة كاملة فوردت في موسوعة "الوافي بالوفيات" للصفدي، والرجلان عاشا فعلاً في القرن الثالث الهجري في العراق، ما يعني أن هذا اللقاء والحوار ربما قد حصل، وإنها لظريفة أكانت موضوعة أم مسندة..

فعـاد فطـركَ للأكبـاد تفطيـرا

قصيدة المعتمد بن عباد في العيد

المعتمد بن عباد، الملك الهمام والشاعر الرقيق، آخر ملوك إشبيلية في عصر ملوك الطوائف، والذي عاش حياة ترف ما عاشها إلا قليل من الملوك في سائر الأزمان، أخذه أمير المرابطين يوسف بن تاشفين أسيراً لما قضى على سائر ممالك الطوائف ووحدها تحت حكمه أواخر القرن الخامس الهجري، ونفي الملك الشاعر إلى "أغمات" في المغرب، وعاش فقيراً كسيراً يتصدق عليه الناس، ولما زارته بعض بناته في سجنه يوم العيد، ورأى شقاءهن وعفار الزمن على وجوههن وهن حافيات بائسات من بعد عز

وترف، قال قصيدته الشهيرة:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا
وكان عيـدك باللـذات معمـورا
وكنت تحسبُ أن العيـد مسعـدةٌ
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمـار جائعـةً
في لبسهنّ رأيت الفقر مسطـورا
معاشهـنّ بعيـد العـزّ ممتهـنٌ
يغزلن للناس لا يملكن قطميـرا
يطأن في الطين والأقدام حافيـةً
تشكو فراق حذاءٍ كـان موفـورا
أفطرتَ في العيد لا عادت إساءتُه
ولستَ يا عيدُ مني اليوم معـذورا
وكنت تحسب أن الفطـر مُبتَهَـجٌ
فعـاد فطـرك للأكبـاد تفطيـرا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثـلاً
لما أمرت وكان الفعـلُ مبـرورا
وكم حكمت على الأقوامِ في صلفٍ
فردّك الدهـر منهيـاً ومأمـورا
من بات بعدك في ملكٍ يسرّ بـه
أو بات يهنأ باللـذات مسـرورا
ولم تعظه عوادي الدهر إذ وقعت
فإنما بات في الأحـلام مغـرورا
وكذا الدنيا.. إذا ما عز ناسٌ ذل ناسُ

قصائد في هجاء النُّواب والبرلمانات

في العام 1939 وجه الانتداب الفرنسي للشاعر والسياسي ورجل الاستقلال السوري فخري البارودي تهمة دعم الثوار وحيازة سلاح بشكل غير قانوني، مما اضطره للجوء إلى الأردن، حيث بقي فيها حتى العام 1940، ومنها قرر أن يجرب حظه في العراق، ولكنه لم يمكث هناك سوى ثلاثة أشهر، يروي في مذكراته أنه رأى فيها العجب من تسلط الإنكليز على الحكومة هناك وشكلية الحكومة والبرلمان وسائر أجهزة الحكم العراقية، فكتب وقتها قصيدة وصف فيها حال البرلمان العراقي، يقول فيها:

حكومتنا السعيدة ذات شكلٍ

نيابيٍ يُدار ببرلمانِ

ودستور حماهُ مجلسانِ

من الأعيان والنواب ثاني

وفي بغداد قانون ولكن

بلا وتر يُحرك بالبنان

فيلعب فيه أرباب الكراسي

على توقيع حاجات الزمان

وأعضاء المجالس لم يبالوا

بما تلقى البلاد من الهوان

وأحرار البلاد بكوا دماءً

على ما ضاع من عذب الأماني

فشعبٌ يرتضي هذا حريٌّ

بأن يبكي على مَرِّ الزمانِ

فهل صحت نبوءة "شيخ الشباب" فخري البارودي للعراق والعراقيين؟

الطريف أن البارودي، صاحب "بلاد العرب أوطاني" كان عضواً في البرلمان السوري، منذ المجلس التأسيسي عام 1928، وحتى جلاء الفرنسيين عن سوريا عام 1946 أو بعدها بعام.

لكن البارودي لم يكن مطواعاً ولا أداة تصفيق خلال ولايته النيابية، بل ساهم في وضع الدستور والدفاع عن الحياة النيابية، وكان رأس حربة في كل حراك سياسي أو ثوري ضد الانتداب الفرنسي، وسجن وظل ملاحقاً من قبل السلطات الفرنسية، لكن الشعب الذي سماه "شيخ الشباب" كان دائماً يحمله إلى البرلمان رغم الانتداب.

والبرلمانات العربية ونوابها في القرن العشرين، كانت وجهة مفضلة لهجائيات الشعراء وسخريتهم وتندرهم، إذ إن معظم تلك البرلمانات كانت ناطقة باسم الحكومات المسيطرة ومنفذة لإراداتها، بعيدة كل البعد عن هموم الشعب ومطالبه، وهي التي تدعي تمثيل الشعب والكفاح في سبيل تحصيل حقوقه!

وللبنان الحظ الأوفر في الغالب من هجائيات الشعراء للنواب، ومن ذلك أنه في العام 1972 أوفدت صحيفة "النهار" مندوبها لاستطلاع آراء الناخبين بالمرشحين للدورة البرلمانية، وكان الشاعر اللبناني موسى الزين شرارة (1902- 1986) من المستطلعة أراؤهم، فقال شعراً:

يا شعبُ حسبك طاعة لمعاشرٍ

حسبوا الذي تسدي إليهم واجبا

أتخمتهم شبعاً وشدت قصورهم

وقبعت عرياناً بكوخك ساغبا

ولمن تألَّه حين أصبح نائباً

من عرينا والجوع يقبض راتبا

إن جاءه العاني الفقير بحاجة

ألوى له جيداً وهز مناكبا

واليوم جاء الانتخاب وجاءنا

يبدي ويصطنع ابتساماً كاذبا

ولعل وصف الشاعر والسياسي السوري خليل مردم بك للنواب الذين سماهم "النوام" هو من أقسى ما صدر بحقهم، يقول:

البرلمانُ وَهَلْ أتاكَ حديثُهُ

وَحديثُ من فيه مِنَ النُوّامِ

نُقلوا إليه ناكسينَ رؤوسَهمْ

نَقْلَ الجبانِ لساحةِ الإعدامِ

مَلَكَ الحياءُ عليهمُ أبصارَهمْ

فعيونُهمْ بمواطئِ الأَقدام

وَإذا رموا عن غيرِ قصْدٍ نظرةً

نظروا بعينِ الأحولِ المتعامي

حقَروا نفوسَهمُ فلم تُرفعْ لهم

أَيد لردِّ تحيةٍ وَسلام

حتى إذا أخذوا مجالسَهمْ به

ضاقَ المكانُ ببسْطةِ الأجسام

عَكَفَتْ زواياه عَلَى أصنامِهمْ

من لي بإبراهيم للأصنام!..

أمنية مردم بك لم تتحقق، وما زالت الأصنام تجثم على رافعاتها، ولم تعد البرلمانات على اختلاف مسمياتها تحضر في اهتمامات الناس وأخبارهم من خلال مكاسب حققتها أو طالبت بها لهم، وإنما من خلال الشجارات والحفلات المسرفة والاختلاسات واستغلال المنصب، منصب تمثيل الشعب والتمثيل عليه!.

ديك الجن وصاحبته

روَّيتُ من دمها الثرى

ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان، شاعر حمص الأشهر في العصر العباسي، الماجن العابث الشعبوي، هو واحد من الشعراء المجيدين، حتى إن النقاد القدامى اتهموا المتنبي بالإغارة على شعره، ولكن شاعرنا خلد في التاريخ بجريمة قتل وقصيدة، والقصة أن ديك الجن وقع في حب جارية نصرانية تسمى ورد بنت الناعمة كما يقول الرواة، وأغرم بها أشد الغرام، حتى دعاها إلى الإسلام ليتزوجها فوافقت على ذلك، وتزوجا وعاشا حياة عاشقين مثاليين.
لكن الحساد والعذال كانوا بالمرصاد، ومن هؤلاء ابن عم لديك الجن يكنى أبا الطيب، لم يرق له هذا الهناء الذي هما فيه، وأراد ورداً لنفسه، فلما صدته أشاع خبراً صادماً بعد دراسة وتخطيط، ألا وهو خيانة امرأة ديك الجن لزوجها!..
ومن أجل حبك شراك المكيدة جيداً، انتظر أبو الطيب سفر ديك الجن إلى بلدة

"السلمية" شرق حماة، طالباً مساعدةً من صديقه الأمير "أحمد بن علي الهاشمي" لفك ضائقة مالية ألمت به، ويقال إن أبا الطيب طالبه بدين كبير مما اضطره إلى السفر طلباً للمدد، وفي هذه الأثناء أرسل ابن عمه من أشاع خبر خيانة زوجته ودبر من يتكفل بإحكام كل التفاصيل، حتى تبدو القصة حقيقية تماماً.

وتقول روايات أخرى إن الواشي أبا الطيب ورط صديق ديك الجن الأقرب واسمه بكر بالقضية ليبدو وكأنه هو الذي يخونه مع زوجته.
وبالفعل فإن ديك الجن لما وصل بيته وجد زوجته وشخصاً آخر هو بكر أو غيره، فلم ينتظر تدقيقاً أو تحقيقاً واستلّ سيفه فقتلهما وأحرق جسد ورد، وصنع منه كوزاً ما زال يشرب به حتى وفاته.
وكتب في ذلك قصيدته الأشهر:

يا طَلْعَةً طَلَعَ الحِمَامُ عَلَيها
وجَنَى لَها ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْها

رَوّيْتُ مِنْ دَمِها الثّرى ولَطَالَما
رَوَّى الهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتيْها

قَدْ باتَ سَيْفي في مَجَالِ وِشَاحِها
ومَدَامِعِي تَجْرِي على خَدَّيْها

فَوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وَطِىءَ الحَصَى
شَيءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْها

ما كانَ قَتْليِها لأَنِّي لَمْ أَكُنْ
أَبكي إذا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْها

لكنْ ضَنَنْتُ على العيونِ بِحُسْنِها
وأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الحَسُود إِليها

قال د. شوقي ضيف:
"ليس من شك أن أروع أشعار ديك الجن ما نظمه في بكاء صاحبته متحسراً نادماً كما لم يندم أحد".
وما زالت مئات الأعمال المسرحية والدرامية والشعرية تخلد قصة ديك الجن وورد، ولديك الجن قصائد كثيرة في ورد وندمه على قتلها غير القصيدة التي استعرضناها، أنصح بالاطلاع عليها في ديوان ديك الجن الذي ظل مفرقاً في كتب التراث ولم يطبع في ديوان واحد إلا مطلع القرن العشرين.

"الميني جيب"

بين شعراء حماة

استاء الشّاعر الحموي وليد قنباز من منظر "الميني جيب" الذي عدَّه من تهافت النّساء علـــى قشور الحضارة الغربيّة فقال ساخراً:

قَـصّـرْنَ من أثوابهنَّهْ
حـــتّى بَدت سوْءاتهنَّهْ
وأخـذْنَ يذْرعنَ الطّريق
تكاد تأخـــذهن جِـنَّـــهْ
أمّـا الكـعـوب العاليات
فكـالمطارق وقـعُـهُنَّه
فإذا مَشينَ على الرّصيف

تـمـــاوجتْ أردافُـهنَّهْ
فـــيكاد نصفُ السـّائرينَ
يموتُ من شـــوقٍ لـهنَّهْ
والنّصف يلعن في الخفاءِ
وفـــي الجهار مسارهنَّهْ
وإذا سألتَ وجدتَ سخفاً
فـــي جواب كـبـارهنَّهْ
وإذا جلسْـــن تكشَّـــفْت
عن سُـــوقهنَّ ثيـــابُهُنَّه
ويضـعن رجلاً فوق أخرى
والحـــيـــاءُ عَـدُّوهـنَّـــهْ
يَجـــذبْنَهـــا متظاهرات
بالوَقـــــارِ لسُخْـفِـهنَّهْ
فـتـيـات هذا الجيل ما
أشقى الرّجالَ بجهلكتّهْ

وعندما سمع الشّاعر الحموي الآخر سعيد قندقجي أبيات وليد خالفه الرّأي فوراً، ورأى أنه أخطأ في حق لابسات "الميني جيب" وهو المعجب بهذا اللّباس، فقال:

طـوَّلـــن من أثـــوابـُهنَّهْ
حتـــى اختفت أكـعابُهُنَّهْ
ومشين في الحلل الطّوالِ
كـبـارقٍ وسط الدجـنَّـة
أرضـــيتَ ياشيخ الوقـــار
رضـــيت أنت بستـــرهنَّهْ
ياشـــر مـــا نظمت يـداك
من القـــريض بشـــأنهنَّهْ

قـــد رُحْنَ كـــالرهبان أو
كـــالراهبـــات بـــديْرِهنَّهْ
ويـلـــي على رأيٍ رَأَيْت
ومـــنـــطقٍ أزرى بـــهـنَّهْ
أخـــشـيتَ من أُمَّ البنين
فَـــرُحْت تنكر عُـــرْيهنَّهْ
دعـــهـــنَّ فيما يبتـغـين
فلســـت تحـمل إثمهنَّهْ
دعـــهـــنَّ واترك ياوليـــد
عَلَـــيَّ كلَّ شـــرورهنَّهْ
قرب الزّمـــان لكي نقصْرَ
فَـــاعْـذُرَن تقصيـرهُنَّهْ

الكعكة الحجرية

القصيدة التي أنضجها أمل دنقل في الميدان

أيُّها الواقفون على حافة المذبحة
أَشْهِروا الأسلحة
سقطَ الموتُ، وانفرط القلبُ كالمسبحة
والدّمُ انساب فوق الوشاحْ
المنازلُ أضرحةٌ
والزنازن أضرحةٌ
والمدى.. أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعوني
أنا ندمُ الغدِ والبارحة

رايتي: عظمتان وجمجمةٌ
وشعاري: الصباحْ
دقّتِ الساعةُ المتعبة
رفعتْ أمُّهُ الطيّبة
عينَها

دفعته كعوبُ البنادقِ في المركبة!
*****
عندما تهبطين على ساحة القومِ
لا تبدئي بالسلامْ
فهمُ الآنَ يقتسمون صغاركِ
فوق صحافِ الطعامْ
بعد أن أشعلوا النارَ في العشِّ
والقشِّ
والسنبلة
وغداً يذبحونكِ بحثاً عن الكنز
في الحوصلة
وغداً تغتدي مدنُ الألفِ عامْ
مدناً للخيامْ
مدناً ترتقي دَرَجَ المقصلة

هذه القصيدة الخالدة كتبها أمل دنقل خلال مظاهرات الطلاب عام ألف وتسعمئة واثنين وسبعين التي خرجت إلى ميدان التحرير بعد اعتقال ألف وخمسمئة طالب جامعي اعترضوا على سياسة "اللاسِلم واللاحرب" التي انتهجها الرئيس أنور السادات فى أوائل السبعينيات، لتكون نشيد ثوار ميدان التحرير في كل الأزمنة اللاحقة.
الشاعر أحمد عنتر مصطفى صديق الراحل أمل دنقل والذي كان معه في اعتصام الطلاب الشهير آنذاك، حكى قصة القصيدة، فقال إن أمل لم يكتبها على مكتب، وإنما

كتبها على ثلاثة أيام في قلب ميدان التحرير، وبعض مقاطعها كتبها وهو يمشي في شارع سليمان باشا، ومقاطع أخرى -وفق رواية عنتر - كتبها في البناية التي كان الطلبة المحاصرون يلتجئون إليها (التي تحتها بائع حقائب وما زالت قائمة إلى الآن) ويرسل المقاطع إلى المتظاهرين أسفل البناية، حيث يقومون بنسخها وتوزيعها. إلى أن اكتملت القصيدة، وفُضَّ الاعتصام، واستمر السادات، ورحل السادات، لكن قصيدة "الكعكة الحجرية" ظلت صامدة يُعاد خلقها في ميدان التحرير لتكون أغنية كل ثورة ممكنة أو محتملة.

في هجاء خديوي مصر

قدومٌ ولكن لا أقول سعيد
ومُلْكٌ وإن طــال المدى سيبيد

يذكـرنـا مرآك أيـــام أُنــزلت
علينا خطوبٌ من جدودك سودُ

رمـتنا بكـم مقدونيــا فأصـابنا
سهــام بـــلاء وقعهنَّ شديــد

فلمــا توليتـــم طغيتم وهـــكذا
إذا أصبح القولـيُّ وهـو عميد

أعباس ترجو أن تكون خليفةً
كمــا ودَّ آبـــاءٌ ورام جــدودُ

فياليت دنيــانا تـزول وليتنـا
نكون ببطن الأرض حين تسودُ

هذه القصيدة الجريئة جداً قيلت في خديوي مصر عباس حلمي الثاني عام 1897، ونشرت في الصفحة الأولى لمجلة الصاعقة، لصاحبها أحمد أفندي فؤاد، وقد قامت الدنيا ولم تقعد على إثرها، وانشغلت الصحافة بها، وانشغل شعراء القصر ومنهم أحمد شوقي بالرد على صاحبها، وعُرفت القضية بـ"قضية السفهاء" وأخذت الشاعر والمترجم الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي في طريقها إلى السجن..

أما مناسبة القصيدة، فهي أن الخديوي عباس حلمي كان يصيِّفُ في الإسكندرية ويشتِّي في القاهرة، لكن ليس وحده، فقد كانت كل وزارات الدولة تنتقل معه في رحلتي الشتاء والصيف!.

وفي تلك السنة وعندما عاد ووزاراته من المقر الصيفي في الإسكندرية إلى القاهرة حيث مقره الشتوي، نُشرت القصيدة في شهر نوفمبر ترحيباً غير عادي بعودته، وخلصت التحقيقات إلى إدانة صاحب صحيفة الصاعقة أحمد أفندي فؤاد ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي تُنسب القصيدة إليه وقد كان يكتب في الصحيفة باسم مستعار، أما الحكم فكان سجن صاحب الجريدة عشرين شهراً، وسنة سجن واحدة للمنفلوطي..

لو وقعت الواقعة الآن في "زمن الحريات".. كم سيكون الحكم برأيكم؟

القصيدة التي أبكت الحسن البصري

رثاء الفرزدق لزوجه نوار

لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي، امرأة الفرزدق، أوصت أن يصلي عليها الحسن البصري، وحضر جنازتها أكابر أهل البصرة، وفي التشييع كان الحسن البصري على بغلته، والفرزدق على بعيره، جنباً إلى جنب، فقال الحسن: يا أبا فراس، ما يقول الناس؟ قال الفرزدق: يقول الناس: حضر الجنازة خير الناس، يعنونك، وشر الناس، ويعنونني أنا، فقال البصري: ما أنا بخيرهم، ولا أنت بشرهم.

يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة.. فقال الحسن: نِعم العدة.

فلما صلى عليها الحسن مالوا إلى قبرها لدفنها، فأنشأ الفرزدق يقول:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني

أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ

عنيف وسوَّاقٌ يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى

إلى النار مغلول القلادة أزرقا

يساق إلى ذل الجحيم مسربلاً

سرابيل قطران لباساً مُحرِّقا

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم

يذوبون من حرِّ الصديد تمزُّقا

فبكى الحسن ثم ضم الفرزدق، وقال: لقد كنتَ من أبغض الناس إلي، وإنك اليوم من

أحب الناس إلي.
جاءت هذه القصة في كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، وأثبتها ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق، وهي دعوة لمراجعة الصورة السلبية النمطية التي ألصقها المؤرخون بالفرزدق ورفقائه من المتهمين بالفسق والمجون.
وكان للفرزدق قصة حب شهيرة جمعته بالنوار، وذات يوم طلقها ثلاثاً، في لحظة غضب، ثم جاء فأشهد على ذلك الحسن البصري، ثم ندم على طلاقها وإشهاده الحسن على ذلك فأنشأ يقول:

فلو أني ملكتُ يدي وقلبي

لكان عليَّ للقدر الخيارُ

ندمت ندامة الكسعيِّ لما

غدت مني مطلقةً نوارُ

وكانت جنتي فخرجت منها

كآدم حين أخرجه الضرارُ

أما قصة زواجه بها، فضرب من الخيال وجنون الشعراء، تقوزل القصة: لما جاء رجل من بني دارم يخطب النوار، ورضيت به، وكان وليّها غائباً، جعلت الفرزدق وليّها ليزوجها.

واجتمع القوم في المسجد للخطبة، فجاء الفرزدق، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم أنَّ النَّوار قد ولَّتني أمرها، أليس كذلك؟ قالوا: بلى، قال: أُشهِدكم أنِّي قد زوَّجْتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة.!

وليس ذلك بمستغرب عن الفرزدق المضطرب الذي سلخ عمره في التهاجي، وأغار على شعر من دونه من المستضعفين، والذي لولاه لضاع ثلث لغة العرب أيضاً!.

أحمد الصافي النجفي

يعاف الناس ويمدح قطّه

أحمد الصافي النجفي، شاعر العراق الفذ، وحديث حسناوات ومقاهي دمشق وبيروت، الشاعر الساخر الساخط الذي عاش معدماً مشرداً في بغداد ودمشق وبيروت وقتلته رصاصة طائشة في حرب لبنان الأهلية وهو يبحث عن كسرة خبز يسد بها رمقه... زهد في الناس ومعاشرتهم واستغنى عنهم إلا للضرورة، وكان عظيم الإنسانية وتجلت رقة مشاعره بصورة خاصة في تعلقه بالحيوانات، بل وحتى الحشرات، وعطفه عليها.. لم يتزوج ولم يتبادل الهوى مع امرأة، واكتفى بقطٍّ شاركه حياته وحرك قريحته، فقال فيه:

ولست أرد ضيفاً قد أتاني
من الحيوان أو إنس وجنٍّ
ويجلس رافعاً للرأس حيناً
يفكر مثل ذي عقل وفنّ
بماذا كان مفتكراً تراه
بفار أم بلحم أم بجبن
وهل هو عاشق فتنته يوماً
لحاظ هريرة كحلاءُ جفن
له روح كروحي فهو كهل
ويلعب هانئاً كصغير سن
يصيح انظر لجنسك كيف يبغي
ويقرص لي ولم أقرصه أذني

فـأدعـو ليـس هـذا الجنس جنسي
ومـا بـي خـلة للنـاس تـدنـي
وكـم عـانـيـت مـنـهم دون جرم
إذا يـا أفـسـدت فـي الكل ظني
لذاك قـد اتـخـذتـك دون صـحـبي
صـديـقـاً لم أخـنـه ولم يـخـنـي
فـواعـجـبـي يـنـازعـنـي بأكلي
أكـان أحـق فـي خـبـزي وسـمـنـي
أيـبـغـي أن يـنـافـسـنـي بشعري
ونـظـرتـه عـن الأشـعـار تـغـني
يـمـوء فـلـيـس يُـفـهـمـني مراداً
ويـنـصـب عـيـنـه بـإزاء عـيـني
يـلاقـي النـاس مـضطربا نفوراً
ويـلـقـانـي بـقـلـب مـطـمـئنِ
فهل هو شاعر القطط التقى بي
فـألّفَ بـيـنـه طـبـعٌ وبـيـنـي
وكـنـت أود لو تـبـقـى جـلـيـسـي
مـدى الأيـام لو صـح التـمـنـي
وكـنـت أود لو تـغـدو ليَ ابناً
أورِّثـــه إذا صـــحَّ التـبـنـي

ولا يبدو الصافي النجفي بأحسن حالاً من نديم محمد الذي زهد في الناس وربَّى حيةً في بيته اتخذها صاحبة له، وغيرهم من الشعراء كثير اعتزلوا على نهج جدهم الشنفرى الذي قال في لاميته الشهيرة:

وفي الأرض منأى للكريم من الأذى

وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما بالأرض ضيقٌ على امرئ
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلون سِيْدٌ عملسٌ
وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ
هم الأهل لا مستودع السر ذائعٌ
لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذلُ

نديم الباذنجان

قصة طباخ في مديح السلطان

كان للأمير بشير الشهابي طبّاخ ماهر ذكيّ وخفيف الظلّ اسمه سرور، وكان الأمير يحبّ حديث سرور، كما كان يتلذّذ بطعم مأكله، في أحد الأيّام قدّم له الطبّاخ وجبة من الباذنجان، فاستدعاه الأمير وقال له: ما ألذّ طعم الباذنجان! فقال الطبّاخ سرور: سيّدي، الباذنجان من أشهى المآكل، إن أكلته مقليّاً بقي طعمه على لسانك طول النهار، وإن أكلته محشيّاً كان شيخ المحاشي، وإن أكلته مكبوساً فهو أشهى الكبيس.
انفتحت شهيّة الأمير، فبالغ في التهام الباذنجان حتّى أصابته نفخة، فاستدعى طبّاخه وقال له: ما هذا الباذنجان المنحوس؟ لقد سبّب لي انتفاخاً في بطني..
فأجابه الطبّاخ سرور: الباذنجان طعام رديء، إن أكلته مقليّاً سبّب لك تضخّماً في المصران، وإن أكلته محشيّاً سبّب لك أحلاماً مزعجة، وإن أكلته مكبوساً سبّب لك الغثيان، وإن أكلته متبّلاً سبّب لك انتفاخاً في البطن.
فصاح به الأمير: ويحك! قبل قليل كان الباذنجان ألذّ وأفضل المآكل، والآن تذمّه وتجعل فيه كلّ العلل!
فأجابه الطبّاخ: العفو سيّدي، أنا خادم السلطان ولست خادم الباذنجان.
القصة نظمها أحمد شوقي في قصيدة ظريفة عنوانها "نديم الباذنجان"، بقول فيها:

كانَ لِسُلطانٍ نَديمٌ وافِ
يُعيدُ ما قالَ بِلا اِختِلافِ
وَقَد يَزيدُ في الثَنا عَلَيهِ
إِذا رَأى شَيئاً حَلا لَدَيهِ
وَكانَ مَولاهُ يَرى وَيَعلَمُ
وَيَسمَعُ التَمليقَ لَكِن يَكتُمُ
فَجَلسا يَوماً عَلى الخِوانِ
وَجيءَ في الأَكلِ بِباذِنجانِ
فَأَكَلَ السُلطانُ مِنهُ ما أَكَل
وَقالَ هَذا في المَذاقِ كَالعَسَل
قالَ النَديمُ صَدقَ السُلطانُ
لا يَستَوي شَهدٌ وَباذِنجانُ
هَذا الَّذي غَنى بِهِ الرَئيسُ
وَقالَ فيهِ الشِعرَ جالينوسُ
يُذهِبُ أَلفَ عِلَّةٍ وَعِلَّه
وَيُبرِدُ الصَدرَ وَيَشفي الغُلَّه
قالَ وَلَكِن عِندَهُ مَرارَه
وَما حَمَدتُ مَرَّةً آثارَه
قالَ نَعَم مُرٌّ وَهَذا عَيبُه
مُذ كُنتُ يا مَولايَ لا أُحِبُّه
هَذا الَّذي ماتَ بِهِ بُقراطُ
وَسُمَّ في الكَأسِ بِهِ سُقراطُ
فَالتَفَتَ السُلطانُ فيمَن حَولَهُ
وَقالَ كَيفَ تَجِدونَ قَولَه
قالَ النَديمُ يا مَليكَ الناسِ
عُذراً فَما في فِعلَتي مِن باسِ

جُعِلتُ كَي أُنادِمَ السُلطانا
وَلَم أُنادِم قَطُّ باذِنجانا

أبدع شوقي في ترجمة القصة شعراً، ولكن في الحلق غصة، فهل نجا أحمد بك شوقي من فخ "التطبيل" لخديوات مصر وملوكها الذين عاش في كنفهم!.

الديك.. هل هو رفعت الأسد؟

نزار ينفي والقرائن تؤكد

الديك.. أحد أشهر قصائد نزار قباني السياسية، والتي استعارها الجمهور العربي في إسقاطاته من المحيط إلى الخليج، والكل قائل: إنه ديكنا.. ولكن الغالب في الظن أن نزار كتبها في ديك سوريا الذي نفش ريشه في زمن استبداد بلا سقوف، في ثمانينات القرن الماضي، أعني رفعت الأسد شقيق رأس النظام السوري السابق حافظ الأسد، وعلى أنَّ نزار ترك القصيدة لغزاً مفتوحاً على الاحتمالات، إلا أن قرائن كثيرة تدلنا على الديك/ رفعت، فالقصيدة نشرت في ديوان "هوامش على الهوامش" الصادر عام 1991 أي بعد محاولة انقلاب رفعت على أخيه حافظ عام1984 ومن ثم القطيعة بينهما وخروج الأول بصفقة استنزفت أموال سوريا والسوريين وقتها.. كما أن القصيدة تشير صراحة إلى أن الديك هو الرجل الثاني في الدولة المفترضة، والذي غضب عليه الحاكم المطلق بعدما نفش ريشه على دجاجاته، وهذا أيضاً يعزز فرضية أنها كُتبت في رفعت الأسد، وثمة إشارات لا تخفى على السوريين مثل أن الديك شكل امبراطورية من النسوان، واشتغل في الحشيش والتهريب والآثار ... وهذه كلها من صفات رفعت الأسد المشهودة.. إلا أن نزار قباني أكد في لقاء صحفي أن القصيدة لم تُكتب في شخص بعينه.. وربما يكون هذا من باب التورية والغموض الذي يزيد الإثارة ويوسِّع دائرة المشبوهين.

الديك

في حارتنا
ثمة ديك عدواني، فاشيستي
نازي الأفكار
سرق السلطة بالدبابة
ألقى القبض على الحرية والأحرار
ألغى وطنا
ألغى شعبا
ألغى لغة
ألغى أحداث التاريخ
وألغى ميلاد الأطفال
وألغى أسماء الأزهار..

في حارتنا
ثمة ديك أمي
يرأس إحدى الميليشيات
لم يتعلم
إلا الغزو وإلا الفتك
وإلا زرع حشيش الكيف
وتزوير العملات..
كان يبيع ثياب أبيه
ويرهن خاتمه الزوجي
ويسرق حتى أسنان الأموات

في حارتنا ديك
كل مواهبه
أن يطلق نار مسدسه الحربي

على رأس الكلمات
حين يمر الديك بسوق القرية
مزهواً منفوش الريش
وعلى كتفيه تضيء نياشين التحرير
يصرخ كل دجاج القرية في إعجاب:
يا سيدنا الديك
يا مولانا الديك
يا جنرال الجنس ويا فحل الميدان
أنت حبيب ملايين النسوان
هل تحتاج إلى جارية؟
هل تحتاج إلى خادمة؟
هل تحتاج إلى تدليك؟

حين الحاكم سمع القصة
أصدر أمرا للسياف بذبح الديك
قال بصوت الغاضب:
كيف تجرَّأ ديك من أولاد الحارة
أن ينتزع السلطة مني
كيف تجرأ هذا الديك؟
وأنا الواحد دون شريك..

من هي ملهمة درويش في قصيدة أعدي لي الأرض كي أستريح؟

أعدي لي الأرض كي أستريح، فإني أحبك حتى التعب..
من هي تلك المرأة التي أحبها محمود درويش حتى التعب، وهو الهارب من كل شيء يحوله عن الشعر، محورِ حياته ووجوده.
تقول الحكاية إن درويش حضر سهرة في بيت صديقة له عام 1983، وهناك رأى صبية فاتنة، خلعت فؤاده منذ النظرة الأولى، ولم يدر حديث مشبع بينهما، فلجأ درويش إلى حيلة ساذجة بأن طلب من صديقته أن ترد له الزيارة مع كل الذين كانوا في السهرة، فجاء الجميع إلا الصبية التي من أجلها كانت الدعوة.. وبعد عام كامل وفي زيارة ثانية إلى بيت الصديقة، جمعت الصدفة الشاعر بالحبيبة المنتظرة، ليرتجل محمود درويش زواجه منها ارتجالاً، ولتستسلم المترجمة المصرية حياة الهيني لحب الشاعر وترتبط به عام 1984 مفضلة إياه على عاشقها الآخر الأديب فاروق حسني.
زواج درويش وحياة الهيني استمر عاماً أو أقل قليلا، وهي التجربة الثانية للشاعر بعد السورية رنا قباني ابنة شقيق نزار قباني، التي تزوجها درويش في السبيعينات وانفصلا بعد زواج لم يعمر أكثر من 4 سنوات.
السنة التي جمعت درويش وحياة تحت سقف واحد، أثمرت قصيدة واحدة، هي من أشهر ما ترك.. تقول حياة إن محمود كان يضع لها كل يوم وردة على السرير، وأنه ذات يوم بعد العشاء قال لها إنه كتب فيها ولها قصيدة، وقرأ عليها: أعدي لي الأرض كي أستريح فإني أحبك حتى التعب..
وهي القصيدة التي نشرت في ديوان "حصار لمدائح البحر" الصادر عام 1984، أما نسبة قصيدة "درس من كاما سوطرا" المعروفة بعنوان "وانتظرها" إلى تلك الفترة وأن درويش كتبها شوقاً وحنيناً إلى حياة الهيني، فلا نصيب له من الصحة كون القصيدة كتبت بعد انفصالهما ونشرت في ديوان "سرير الغريبة" عام 1999.
مارسيل خليفة عندما سمع قصيدة يطير الحمام، طار عقله بها، وظل يلح على صديقه درويش ليسمح له بغنائها، والأخير يرفض قائلاً إنها قصيدة شخصية، ليأذن له أخيراً قبل دخوله غرفة العمليات في أميركا التي خرج منها إلى مثواه الأخير عام 2008.
إلا أن مارسيل يروي رواية أخرى، قائلاً إن درويش طلب منه تلحين القصيدة منذ سنوات، إلا أن ظروفاً حالت دون ذلك، ليلحنها ويقدمها هدية لروحه عام 2009 بعد

عام على رحيله.
وهكذا هي حكايات الشعراء، القابض عليها كالقابض على الهواء..

يطيرُ الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ
أعدّي لِيَ الأرضَ كي أستريحَ
فإني أُحُبّك حتى التَعَبْ...

صباحك فاكهةٌ للأغاني
وهذا المساءُ ذَهَبْ
ونحن لنا حين يدخل ظلٌّ إلى ظلّه في الرخامِ
وأُشْبِهُ نَفْسِيَ حين أُعلّقُ نفسي
على عُنُقٍ لا تُعَانِقُ غير الغمام
وأنتِ الهواءُ الذي يتعرّى أمامي كدمع العنَبْ
وأنت بدايةُ عائلة الموج حين تَشَبّثَ بالبرّ
حين اغتربْ
وإني أحبّك، أنتِ بدايةُ روحي، وأنت الختامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

أنا وحبيبيَ صوتان في شَفةٍ واحدهْ
أنا لحبيبي أنا.. وحبيبي لنجمته الشاردهْ
وندخل في الحُلْمِ، لكنّهُ يَتَبَاطَأُ كي لا نراهُ
وحين ينامُ حبيبيَ أصحو لكي أحرس الحُلْمَ مما يراهُ

وأطردُ عنه الليالي التي عبرتْ قبل أن نلتقي
وأختارُ أيّامنا بيديّ

كما اختار لي وردة المائدهْ
فَنَمْ يا حبيبي
ليصعد صوتُ البحار إلى ركبتيّ
وَنَمْ يا حبيبي
لأهبط فيك وأُنقذَ حُلْمَكَ من شوكةٍ حاسدهْ
وَنَمْ يا حبيبي
عليكَ ضفائر شعري، عليك السلامُ
يطيرُ الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

رأيتُ على البحر إبريلَ
قلتُ: نسيت انتباه يديكِ
نسيتِ التراتيلَ فوق جروحي
فَكَمْ مَرّةً تستطيعين أن تُولَدي في منامي
وَكَمْ مَرّةً تستطيعين أن تقتليني لأصْرُخَ: إني أحبّكِ
كي تستريحي؟
أناديكِ قبل الكلامِ
أطير بخصركِ قبل وصولي إليكِ
فكم مَرّةً تستطيعين أن تَضَعِي في مناقير هذا الحمامِ
عناوينَ روحي
وأن تختفي كالمدى في السفوحِ
لأدرك أنّك بابل، مصرُ، وشامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

إلى أين تأخذني يا حبيبي من واديّ
ومن شجري، من سريري الصغير ومن ضجري

من مراياىَ من قمري، من خزانة عمري ومن سهري
من ثيابي ومن خَفَري؟
إلى أين تأخذني يا حبيبي إلى أين
تُشعل في أذنيّ البراري، تُحَمّلُني موجتين
وتكسر ضلعين، تشربني ثم توقدني، ثم
تتركني في طريق الهواء إليك
حرامٌ... حرامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

لأني أحبكِ، خاصرتي نازفهْ
وأركضُ من وَجَعي في ليالٍ يوسّعها الخوفُ مما أخافُ
تعالي كثيراً، وغيبي قليلاً
تعالي قليلاً، وغيبي كثيراً
تعالي تعالي ولا تقفي، آه من خطوةٍ واقفهْ
أحبّكِ إذ أشتهيكِ.. أحبّك إذ أشتهيك
وأحضن هذا الشعاعَ المطوّقَ بالنحل والوردة الخاطفهْ
أحبك يا لعنة العاطفهْ
أخاف على القلب منك، أخاف على شهوتي أن تَصِلْ
أُحبّك إذْ أشتهيكِ
أحبك يا جسداً يخلق الذكريات ويقتلها قبل أن تكتملْ
أُحبك إذْ أشتهيكِ
أطوّع روحي على هيئة القدمين على هيئة الجنّتين
أحكُّ جروحي بأطراف صمتك.. والعاصفهْ
أموتُ، ليجلس فوق يديكِ الكلامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

لأني أحبّك (يجرحني الماءُ)
والطرقاتُ إلى البحر تجرحني
والفراشةُ تجرحني
وأذانُ النهار على ضوء زنديك يجرحني
يا حبيبي، أناديكَ طيلة نومي، أخاف انتباه الكلام
أخاف انتباه الكلام إلى نحلة بين فخذيّ تبكي
لأني أحبّك يجرحني الظلّ تحت المصابيح، يجرحني
طائرٌ في السماء البعيدة، عطر البنفسج يجرحني
أوّلُ البحر يجرحني
آخِرُ البحر يجرحني
ليتني لا أحبّكَ
يا ليتني لا أُحبّ
ليشفى الرخامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

أراكِ، فأنجو من الموت.. جسمُكِ مرفأْ
بعشرِ زنابقَ بيضاء، عشر أتأمل تمضي السماءُ
إلى أزرقٍ ضاع منها
وأُمسكُ هذا البهاء الرخاميّ، أمسك رائحةً للحليب المُخبّأْ
في خوختين على مرمر، ثم أعبد مَنْ يمنح البرّ والبحر ملجأْ
على ضفّة الملح والعسل الأوّلين، سأشرب خَرّوبَ لَيْلكِ
ثم أنامُ
على حنطةٍ تكسر الحقل، تكسر حتى الشهيق فيصدأْ
أراك، فأنجو من الموت.. جسمك مرفأْ
فكيف تُشرّدني الأرض في الأرضُ

كيف ينامُ المنامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

حبيبي، أخافُ سكوتَ يديكْ
فَحُكّ دمي كي تنام الفرسْ
حبيبي، تطيرُ إناثُ الطيور إليكْ
فخذني أنا زوجةً أو نَفَسْ
حبيبي، سأبقي ليكبر فُستُقُ صدري لديكْ
ويجتثّني من خطاك الحَرَسْ
حبيبي، سأبكي عليكَ عليكَ عليكْ
لأنك سطحُ سمائي
وجسميَ أرضك في الأرضِ
جسمي مقَامُ
يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

رأيت على الجسر أندلُسَ الحبّ والحاسّة السادسهْ
على وردة يابسهْ
أعاد لها قلبَها
وقال: يكلفني الحُبّ ما لا أُحبّ
يكلفني حُبّها
ونام القمرْ
على خاتم ينكسرْ
وطار الحمامُ

رأيتُ على الجسر أندلُس الحب والحاسّة السادسهْ

على دمعةٍ يائسهْ
أعادتْ له قلبَهْ
وقالت: يكلفني الحبّ ما لا أُحبّ
يكلفني حُبّهُ
ونام القمرْ
على خاتم ينكسرْ
وطار الحمامُ
وحطّ على الجسر والعاشِقْينِ الظلامُ
يطير الحمامُ
يطير الحمامُ

العشاق والغراب

بريء أُلبس ثوب العذول!

على أن العشاق كرهوا العذول والرقيب وتمنوا له أسوأ المصائر، إلا أن كرههم له توقف عند حد الدعاء عليه وتوعّده بالويل والثبور:

قولوا لعذولي مذ لاما
مت أنت بغيظك آلاما
بجهنم تلقى آثاما
وأنا وحبيبي في عدنِ

يعني تمنوا له الموت وتوعدوه بجهنم، التي ساءت مستقراً ومقاما.. لكنهم لم يكتفوا بذلك عندما تعلق الأمر بالمسؤول الأول تاريخياً عن تفريق شملهم وتمزيق لُحمتهم، فقتلوه ومثلوا به وخلَّدوه كائناً بغيضاً حتى أصبح مضرب الأمثال.

إنه الغراب، غراب البين ما غيره، الذي كان ضحية العشاق عبر الأزمان، ينتقمون منه على ذنوب لم يقترفها ولا يعلم عنها، ولكنهم استضعفوه فقتلوه!..

جاء في كتاب مصارع العشاق للسراج البغدادي المتوفى سنة 500 للهجرة، أن لبنى صاحبة قيس، أمرت غلامها فاشترى لها أربعة غربان، فلما رأتهن بكت وصرخت، وكتفتهن، وجعلت تضربهن بالسوط حتى متن جميعاً، وجعلت تردد بأعلى صوتها أبيات حبيبها قيس بن ذريح:

لقد نادى الغُرَابُ ببَين لُبنى فطارَ القَلبُ من حَذَرِ الغُرَابِ

فَقال: غَداً تَباعَدُ دارُ لُبنى وَتَنْأَى بَعدَ وُدٍّ واقترَابِ

فَقُلتُ: تَعِستَ وَيحَكَ من غُرَابٍ أكُلَّ الدهرِ سَعْيُكَ في تَبابِ

لقَد أولِعتَ، لا لاقَيتَ خَيراً بِتَفرِيقِ المحِبِّ عن الحِبَابِ

فدخل زوجها، فرآها على تلك الحال، فقال::ما دعاك إلى ما أرى؟ قالت: دعاني أن ابن عمي وحبيبي قيساً أمرهن بالوقوع فلم يقعن إذ يقول:

ألا يا غُرَابَ البَين، قد طِرْتَ بالذي أُحاذِرُ من لُبنى، فَهَل أنتَ وَاقِعُ؟

فآليت أن لا أظفر بغراب إلا قتلته!..

وللعاشق المتيم الآخر قيس بن الملوح قصيدة كاملة في هجاء الغراب يقول فيها:

أَلا يا غُرابَ البَينِ هَيَّجتَ لَوعَتي

فَوَيحَكَ خَبِّرني بِما أَنتَ تَصرَخُ

أَبِالبَينِ مِن لَيلى، فَإِن كُنتَ صادِقاً

فَلا زالَ عَظمٌ مِن جَناحِكَ يُفسَخُ

وَلا زِلتَ عَن عَذبِ المِياهِ مُنَفَّراً

وَوَكرُكَ مَهدوماً وَبَيضُكَ يُرضَخُ

وَلا زِلتَ في شَرِّ العَذابِ مُخَلَّداً

وَريشُكَ مَنتوفٌ وَلَحمُكَ يُشدَخُ

والله لو كان أعدى أعدائك ما دعوت عليه هكذا!..!.. ولكن للعشاق شؤون لا يفهمها إلا من أصابه عشق أو رُمي بسهمه.

سلوا كؤوس الطلا

ارتجال أحمد شوقي على مقام كوكب الشرق

سَلوا كؤوسَ الطِلا هل لامَسَتْ فاها
واسْتَخْبِروا الراحَ هل مَسَتْ ثناياها
باتَتْ على الرَّوضِ تَسقيني بصافيةٍ
لا للسُلافِ ولا للوَرْدِ رَيَّاها
ما ضَرَ لو جَعَلَتْ كأسي مَراشِفها
ولو سَقَتني بصافٍ من حُمَيَّاها
هَيْفاءُ كالبانِ يَلْتَفُ النَسيمُ بِها
وينثني فيه تحت الوَشي عِطْفاها
حَديثُها السِّحرُ إلا أنه نَغَمٌ
جَرَتْ على فَمِ داودٍ فَغَنَّاها
حمامةُ الأيْكِ مَنْ بالشَجْوِ طارَحَها
ومَنْ وراءَ الدُجى بالشَوْقِ ناجاها
اَلْقَتْ إلى الليلِ جِيداً نافِراً وَرَمَتْ
إليه أُذناً وَحارَتْ فيه عَيْناها
وعادَها الشوق للأحبابِ فانْبَعَثَتْ
تَبْكي وتَهْتِفُ أحياناً بِشَكْواها
يا أم كلثوم أيامُ الهَوى ذَهَبَتْ
كالحُلْمِ، آهاً لأيَّامِ الهَوى آها

أما القصيدة فلأحمد شوقي، وأما الثغر فهو ثغر كوكب الشرق، أم كلثوم، والكأس خمرٌ، لم تقترفه أم كلثوم إلا أنها قربته من شفتيها مجاملة لمضيفها أمير الشعراء.
القصيدة التي غنتها كوكب الشرق لأمير الشعراء جاءت بعد جفوة بينهما.. جفوة طالت بسبب احتضان أحمد شوقي بك لمنافسها محمد عبدالوهاب منذ نشأته الفنية، ومعلوم أن المنافسة كانت على أشدها بين عبد الوهاب وأم كلثوم، حتى أنهما لم يلتقيا في عمل غنائي إلا بضغط من جمال عبد الناصر، فكانت باكورة أعمالهما أغنية أنت عمري عام

1964 لكن وعلى الرغم من جفوة أم كلثوم تجاهه، وجه أحمد شوقي دعوة لأم كلثوم للغناء في بيته، فلبت الدعوة وغنت في داره بالجيزة المعروفة باسم "كرمة ابن هانئ"، وأحس شوقي بالنشوة تغمر روحه، فقام من مجلسه ليحيي أم كلثوم بعد أن غنت، حيث قدم لها كأساً من الطلا (الخمر)، فتصرفت أم كلثوم بدبلوماسية، إذ رفعت الكأس حتى مس شفتيها دون أن ترشف ولو قطرة واحدة، لأنها لا تشرب الخمر، وقد أعجب شوقي بتصرفها الدبلوماسي ولباقتها، وعندما خلا بنفسه وانفض الساهرون، أو أثناء الجلسة، كتب قصيدة رقيقة، وفي الصباح أوصلها بنفسه إلى كوكب الشرق .. إلا أن القصيدة ظلت نائمة منذ عام 1932، السنة التي رحل فيها شوقي، حتى عام 1944عندما عهدت بها إلى الموسيقار رياض السنباطي، وغنتها بعد رفع اسمها من موضعين في القصيدة الأصل، فالبيت الأخير سنجده في الأغنية:

يا جارةَ الأيْكِ أيامُ الهَوى ذَهَبَتْ

كالحُلْمِ، آهاً لأيَّامِ الهَوى آها..

بينما هو في الأصل

يا أم كلثوم أيامُ الهَوى ذَهَبَتْ

كالحُلْمِ، آهاً لأيَّامِ الهَوى آها

وكأنَّ أيام الهوى ذهبت حقاً، أو نظنها كذلك، نحن من وقفنا قلوبنا وذائقتنا عند حدود ما يسمى "الزمن الجميل".

عمر أبو ريشة وفتاة الطائرة

حين كان متجهاً إلى تشيلي ليتسلم مهامه سفيراً أو وزيراً مفوضاً لسوريا في الأرجنتين وتشيلي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وخمسين، جلس شاعرنا السوري الكبير عمر أبو ريشة إلى جانب فتاة آية في الحسن والكبرياء، كما يصفها بنفسه، تعارفا باللغة الإنكليزية، فإذا هي إسبانية، قال لها: فلنتحدث بالإسبانية إذن.. تحدثا في أمور شتى، فرأى فيها مثقفة كبيرة ورأت فيه الشيء ذاته.. وفي أثناء الحديث أثنت على العرب وقالت له إنها من حفيدات حضارة العرب في الأندلس وأن الدم العربي يجري في عروقها، فأنكر أبو ريشة معرفته بالعرب وأمجادهم، فأنكرت عليه بدورها جهله بدورهم الحضاري

العظيم.. وعندما هبطت الطائرة، يقول أبو ريشة: كان مئات الخلائق في انتظار وصول السفير السوري الأول في تشيلي، فسألت الفتاة الإسبانية عن سبب هذه الجمهرة، وعرفت أن جارها في الطائرة هو السفير المُحتفى به، فما كان منها إلا أن وقفت لتحيته بين المستقبلين.

وفي الليلة ذاتها، يروي أبو ريشة، أنه كتب قصيدة عن الحادثة باللغة الإسبانية، وترجمها إلى العربية في اليوم التالي، لتولد قصيدته الشهيرة، في طائرة، ومنها:

وثبت تستقرب النجم مجالا
وتهادت تسحب الذيل اختيالا
وحِيالي غادة تلعب في
شعرها المائج غنجاً ودلالا
طلعةٌ ريَّا وشيء باهرٌ
أجمالٌ؟.. جلَّ أن يُسمَى جمالا
فتبسمتُ لها، فابتسمت
وأجالت فيَّ ألحاظاً كَسالى
وتجاذبنا الأحاديث فما
انخفضت حساً ولا سفَّت خيالا
كلُّ حرفٍ زلَّ عن مِرشفها
نثر الطيب يميناً وشمالا
قلت يا حسناء من أنت
ومِن أيِّ دوحٍ أفرعَ الغصنُ وطالا
فأجابت أنا من أندلسٍ
جنة الدنيا عبيراً وظلالا
وجدودي ألمحُ الدهرَ على
ذكرهم يطوي جناحيه جلالا
حملوا الشرق سناءً وسنى
وتخطوا ملعب الغرب نضالا

فنما المجد على آثارهم
وتحدى بعدما زالوا الزوالا
هؤلاء الصيد قومي فانتسب
إن تجد أكرمَ من قومي رجالا
أطرق الطرف وغامت أعيني
برؤاها.. وتجاهلت السؤالا

القصة والقصيدة تستدعي بالتأكيد قصيدة أخرى أكثر شهرة ربما، هي قصيدة غرناطة للشاعر الكبير نزار قباني:

في مدخل الحمراء كان لقاؤنا
ما أطيب اللقيا بلا ميعادِ
عينان سوداوان في حجريهما
تتوالد الأبعاد من أبعادِ
هل أنت إسبانية ساءلتها
قالت وفي غرناطة ميلادي

إلى آخر القصيدة الشهيرة، التي نُشرت في ديوان الرسم بالكلمات عام1966، وهناك أحاديث كثيرة في السر والعلن عن اقتباس نزار قصة عمر أبو ريشة، يعني "الكوبي بيست" ليس حكراً على جيل السوشال ميديا فيما يبدو!.. وعلى كل حال فإن القصيدتين ثراء للأدب والمخيال العربي.

الرسالة المملحة للجواهري

أترى العفافَ مقاسَ أقمشةٍ؟

في ستينات القرن الماضي غزت تنورة "الميني جوب" العالم بما فيه المنطقة العربية، وذلك تزامناً مع صعود الإيديولوجيات القومية واليسارية التحررية، وبطبيعة الحال وكما هو الوضع الطبيعي تصدى المحافظون دينياً واجتماعياً لهذه الظاهرة، ونشأ جدل في المجتمع والصحافة حول اللباس الجديد الغريب عن أعراف المنطقة وعاداتها.

شعراء كثر أدلوا بدلوهم في ذلك الوقت حول الظاهرة، ومعظمهم كان مؤيداً لها، وعلى رأسهم شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري.. وله في ذلك قصيدة شهيرة اسمها "المملحة" أو "رسالة مملحة"، وهي قصيدة أرسلها الجواهري إلى صديقه الفريق صالح مهدي عمّاش الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية ونائب رئيس مجلس الوزراء في العراق عام 1969، والذي أصدر قراراً قضى بمنع ارتداء "الميني جوب" وعقاب المخالفات بدهن سيقانهنَّ بالطلاء الأسود.

وصلت أنباء المنع هذه إلى مسامع الجواهري وكان قد وصل حديثاً إلى براغ في تشيكوسلوفاكيا السابقة، ورأى فيها ما رأى من تحرر، وفق ما يقوله في روايته عن القصيدة وقصتها، فاستفزه القرار، وكتب ارتجالاً في المقهى الذي كان يجلس فيه قصيدة مطولة حملت عنوان "رسالة مملحة" وجهها إلى عمّاش الذي كانت تربطه به علاقة صداقة قوية .

يقول الجواهري إن القصيدة عندما وصلت بغداد وانتشرت فيها، أحدثت ضجة كبرى، وصاحت الفتيات: الله يطول عمر الجواهري..

رسالة مملحة

وفَّى لها نذراً فوافى وسعى بها سبعاً وطافا
ورمى بها الجمرات من قلب تعلقها شغافا
أأبا هدى شوق يلح ولاعج يذكي الشغافا
شوقَ المبارح لم يغيره البعاد، ولا تجافى
نُبئتُ أنكَ توسعُ الأزياء عتاً واعتسافا
وتقيس بالأفتار أردية بحجة أن تنافى
ماذا تنافي؟ بل وماذا ثمَّ من خلق يُنافى
حوشيت أنت أرق حاشية ولطفاً وانعطافا
وأشد لصقاً بالحِجى وألد بالحق اتصافا
أترى العفافَ مقاسَ أقمشةٍ، ظلمتَ إذاً عفافا
هو في الضمائرِ لا تخاط ُ ولا تُقصُّ ولا تَكافى
من لم يخفْ عقبى الضميرِ، فمِنْ سواهُ لن يخافا

الساحراتُ فمن يردُّك إن يطرن بك اختطافا
والناعساتُ فما تحس الطرف أغفى أم تغافى
والناهدات يكاد ما في الصدر يُقتطف اقتطافا
هدي المسيح إلى السلام، على العيون، طفا، وطافا
ودم الصليب على الخدود يكاد يُرتشف ارتشافا
أأبا هدىً قولٌ يُخاف سأدَّعيه ولن أخافا
إني وربِّ صاغهنَّ كما اشتهى هِيفاً لِطافا
وأدقهنَّ وما ونى، وأجلهنَّ وما أحافا
لأرى الجنانَ إذا خلت منهنَّ أولى أن تُعافى

القصيدة طويلة وفيها العديد من الموضوعات، ولعل مطلعها في وصف شتاء براغ هو من أعظم الشعر وأعلاه.

وقد رد الفريق صالح مهدي عمّاش على رسالة الجواهري بقصيدة على وزنها وقافيتها، مدافعاً عن قراره ومعللاً بالسياسة، يقول في مطلعها:

لاحٍ سقانيها سلافا ورمى بها غيداً لطافا

طابت "مملحةً" بها الأبيات تُقتطف اقتطافا

نُبئت أني أوسع الأزياء عتًّا واعتسافا

إلى أن يقول:

فعلام نمرح والسويس تُدكُ بالنار انقذافا

للاجئات المقبلات الطول أولى أن يضافا

"راشيل" تضربنا رصاصاً دمدماً غدراً بيافا

و"الموشي" يغترف الدماء القانيات بها اغترافا

وشبابنا يتخنثون "خنافساً" هوجاً عجافا

إنا نريد مآثراً لا قِصرَ أرديةٍ كفافا

نبغي من النسوان تربية البراعم والعفافا

سلها، أيعجبها "المخنفسُ" أن يزف لها زفافا؟

أم تعشق الأسد الهصورَ الكفءَ والبطل المعافى؟

القصيدة طويلة، وتجدونها كاملة في ديوان الجواهري، الجزء الخامس، الصفحة 339. طبعة مؤسسة الأندلس بتحقيق د. إبراهيم السامرائي وآخرين.

لا تنتقد

قصيدة نزارية على لسان شاعرة

لا تنتقد..

أغنية نجاة الشهيرة، وفي الأصل قصيدة الشاعرة الكويتية سعاد الصباح، التي أثارت ولا تزال تثير الجدل حول قصتها ونسبتها، فبعض الناس يُرجعون القصيدة إلى نزار قباني ويقولون إنه كتبها لسعاد الصباح، من دون أي دليل سوى تشابه الأسلوب..

القصيدة التي غنتها المطربة نجاة الصغيرة عام 2001 واشتهرت جداً وقتها، كانت آخر لقاء فني جمع نجاة بالملحن الكبير كمال الطويل، لكن شهرة الأغنية لم تغطِ على قصتها التي ارتبطت بنزار قباني، ونجدها مبثوثة في مئات المواقع والصحف بالرواية الآتية:

ألقت الشاعرة سعاد الصباح قصيدتها "لا تنتقد" في مهرجان الشعر العربي بمصر بداية التسعينات، وكان نزار قباني من بين المدعويين، وكان جالساً في الصف الأول من الحضور، فارتبكت الشاعرة وتلعثمت في أثناء قراءة القصيدة، فما كان من نزار إلا أن طلب منها النزول من على المنبر وتعلم اللغة العربية قبل أن تتجرأ وتكتب الشعر!.

وبعد مدة كتبت سعاد الصباح هذه القصيدة الرقيقة وأرسلت بها إلى نزار، الذي اعتذر منها بدوره، لتنشأ بينهما صداقة متينة امتدت حتى رحيل نزار..

هذه هي الرواية السائدة، والتي بقيت متحكمة بالقصيدة حتى خروج سعاد الصباح عن صمتها ونفي الرواية جملة وتفصيلا، ولكن بعد سنوات طويلة.

تقول سعاد الصباح: "القصائد هنَّ بناتي التي نمَتْ بين يدي وتبرعمَت واشتدت، إذ سقيتُها بدمعي وأعصابي، فكان أجملَها تلك التي نثرتُها شموساً بين يدي أستاذي ومعلمي، زوجي وصديقي صديق الزمن الجميل عبد الله المبارك، وأذكر تماماً عندما أهديتُه قصيدة (لا تنتقد) وأنا تلميذتُه التي ظلّت تتهجى حروف شفتيه، وتترجمُ لغة عينيه وإشارات يديه"..

وأضافت: "من المحزن أن تنتشر قصة خيالية تغيّر مناسبة كتابة القصيدة، وتمحو تفاصيلَها الحقيقية وتزعُم أنني كتبتها رداً على موقف مع الأستاذ نزار قباني، بعد أن أغضبني وطلب مني النزول من منصة الشعر وتعلُّم اللغة العربية، في أمسية هو لم يحضرها أصلاً!"

ولولا أنّ القصيدة بمناسبتها وحروفها ومشاعرها ونبضها تخصّ عبد الله المبارك لما كتبتُ توضيحاً، ولما أجهدتُ نفسي في ملاحقة الإشاعة لإطفائها... فالحكايةُ من أساسها خارج المنطق والعقل، والقصيدة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالأستاذ نزار قباني أو بالحادثة المزيفة التي تتناقلها وسائل التواصل بكل أنواعها، وهو المؤتمر الأدبي الذي أقيم في القاهرة وصعدت فيه المنبر مطلع التسعينيات بعد تحرير الكويت مباشرة فتحدثت فيه عن أثر الغزو على الكويت، وطالبت فيه بعودة الأسرى الكويتيين ولم أقرأ فيه أي قصيدة"..

أما القصيدة مصدر الإشاعة والنفي والجدل فتقول:

لَا تنتقد خجلي الشَّدِيد
فَإِنَّنِي بَسِيطِة جِدًّا وَأَنْت خبيرُ
يَا سَيِّدَ الكلماتِ هَبْ لِي فِرْصَة
حَتَّى يُذَاكِر دَرْسَه العصفورُ
خُذْنِي بِكُلّ بساطتي وطفولتي
أَنَّا لَمْ أَزَلْ أحبو وَأَنْت كبيرُ
مِنْ أَيْنَ تَأْتِي بِالْفَصَاحَة كُلُّهَا؟
وَأَنَا يتوه عَلَى فَمِي التعبيرُ
أَنَا فِي الْهَوَى لَا حَوْلَ لِي أَوْ قُوَّة
إنَّ الْمُحِبّ بِطَبْعِه مكسورُ
إنِّي نَسِيت جَمِيعِ مَا عَلَّمْتَنِي
فِي الْحُبِّ فَاغْفِرْ لِي، وأَنْت غفورُ
يَا وَاضِع التَّارِيخ تَحْتَ سَرِيرِهِ
يَا أَيُّهَا المتشاوف المغرورُ
يَا هَادِئ الْأَعْصَاب إنَّك ثَابِت
وَأَنَا عَلَى ذَاتِي أَدُور أدورُ
الْأَرْض تَحْتِي دائماً محروقةٌ

وَالْأَرْض تَحْتَك مُخْمَلٌ وحريرُ
فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَنَا يا سيدي
فَأَنَا مُحَافَظَة وَأَنْت جَسورُ
وَأَنَا مُقَيَّدَةٌ وَأَنْت تطيرُ
وَأَنَا محجبة وَأَنْت بصيرُ
وَأَنَا أنا مَجْهُولَة ٌجِدًّا
وَأَنْت شهيرُ
فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَنَا يَا سَيِّدِي
فَأَنَا الحضارةُ، والطغاة ذكورُ

بعد جفاء وهجاء

العقاد يكتب قصيدة بمحمد عبد الوهاب

نقل الشاعر الغنائي الكبير كامل الشناوي تفاصيل الأزمة بين كبار أدباء مصر على شعبية محمد عبد الوهاب وغنائه، وكيف استثمره عباس محمود العقاد والمازني في حربهم الشعواء ضد أحمد شوقي، يقول الشناوي: في عام 1924 بدأ نجم عبدالوهاب يلمع، وكان شوقي وراء هذا اللمعان، إذ كان يمد الصحف بأخبار عبدالوهاب، وبالعبارات التي تشيد بصوته وموهبته، وكانت المعركة على أشدها بين شوقي وخصومه من الأدباء والنقاد، وظهر في ذلك الحين كتاب "الديوان" للكاتبين الكبيرين عباس محمود العقاد وإبراهيم عبدالقادر المازني، وقد تناول هذا الكتاب شعر شوقي وشخصه وتاريخه وحياته، بالهجوم والنقد والتجريح.

وعن تفاصيل معركة شوقي وخصومه يضيف كامل الشناوي: كان أنصار شوقي يتعصبون له ضد خصومه، فكل ما يمت إلى هؤلاء الخصوم بصلة سخيف في نظر أصدقاء شوقي، وكان أعداء شوقي يتعصبون ضده فالحسن عنده قبيح عندهم.. ومن هنا أخذ المازني يهاجم المطرب الناشئ محمد عبد الوهاب في جلساته الخاصة، فقط

لأن أحمد شوقي هو من بشّر به!. وكان المازني لم يسمع عبدالوهاب قط، وأراد أصدقاء عبدالوهاب أن يحموه من هجوم المازني، فأقامت فاطمة اليوسف الشهيرة بـ "روز اليوسف" حفلة له، ودعت إليها عدداً من الصحفيين والكتاب، على رأسهم العقاد والمازني، ولما غنى عبدالوهاب، سُحرا به وهاما بصوته، وقال العقاد إنه لاعيب فيه إلا إعجاب شوقي به!.. وأن صوته قوي عذب جذاب، ووافق المازني علي هذا الرأي.
فسألت روز اليوسف العقاد: هل تمنعك خصومتك مع شوقي من أن تقول رأيك فى عبدالوهاب في مقالة، كما سيفعل صديقك المازني؟.
فقال: كلا لن تمنعني، ولن تكون مقالة، بل قصيدة.
وهكذا طالع القراء قصيدة لعباس محمود العقاد فى جريدة البلاغ، قال فيها:

إيه عبدالوهاب إنك شادٍ
يطرب السمع والحِجا والفؤادا

قد سمعناك ليلةً فعلمنا
كيف يهوى المعذبون السهادا

ونفينا الرقاد عنا لأنَّا
قد حلمنا وما غشينا الرقادا

بارك الله فى حياتك للفنِ
وأبقاك للمحبين زادا

أما المازني، فيصف الليلة التي سمع فيها عبدالوهاب بالقول: ومن أمتع ما مر بي في هذه الحياة - التي لا أراها ممتعة ولا أحب أن تطول أو تتكرر- ليلة قضيتها بين شراب وسماع، فأما الشراب فلعل القارئ أدرى به، وأما السماع فقلَّ من شَجِيَ به كما شجيت في تلك الليلة -أي والله... وما زلت إلى الساعة - كلما خلوت بنفسي- أغمض عيني وأتسمع.

ولكن لم تنته المعركة إلى هنا، بل تواصلت فصولها، فرأى خصوم العقاد في مدحه لعبد الوهاب هجواً مبطناً، ونشر حسين شفيق المصري مقالة، انتقد فيها قصيدة العقاد، قال فيها:

هل أراد العقاد أن يمدح عبدالوهاب أم يذمه؟ إنه يقول:

قد سمعناك ليلة فعلمنا

كيف يهوى المعذبون السهادا

إذن لم تكن ليلة طرب بل ليلة شقاء، إن المطرب لم يُشج الشاعر ولكن أشقاه وسامه سوء العذاب، وكيف يتفق هذا الشقاء والعذاب مع وصف الشاعر للمغني بأنه أطرب السمع والحِجا والفؤادا؟

وطالت المقالات وتتالت، وهكذا كانت قصص وصحافة وخصومات ذلك الزمن.. تنتج أدباً وفناً لا يشوبهما غلٌّ ولا تعكرهما أحقاد.

سخريات ابن سودون

الإبداع في "الشعر السخيف"

عجبٌ عجبٌ عجبٌ عجبُ

بقرٌ تمشي ولها ذنـــــبُ

ولها في بزبزها لبـــــنٌ

يبدو للناس إذا حلبـــــوا

من أعجب مافي مصر يُرى

الكرم يُرى فيه العنب

والنخل يُرى فيـــــه بلحٌ

ويُرى فيه أيضاً رُطَبُ

والمركب مع ما قد وسعت

في البحر بحبل تنسحب

لابد لهـــــــــذا من سبب

حزَّر فَزَّر مـــاذا السببُ؟
البِيضُ إذا جاعوا أكلـــوا
والسُّمْرُ إذا عطشوا شربــوا

هذه من أشهر حماقات ابن سودون الشعرية، أما صاحبها ابن سودون، فهو أبو الحسن علي نور الدين بن سودون اليشبغاوي القاهري، شاعر مملوكي عاش في القرن التاسع الهجري بمصر ما بين سنوات 810 - 868 هجرية، 1407 - 1463 ميلادية.

ولد وتعلم بالقاهرة وكان إماماً بأحد المساجد، وحج مراراً، وخرج في بعض الغزوات وأمَّ ببعض المساجد، ولكنه سلك في أكثر شعره طريقة غاية في المجون والهزل والخلاعة واشتهر بهذا الأمر، وألف كتاباً بعنوان "نزهة النفوس ومضحك العبوس" بالعامية المصرية الدارجة.
رحل إلى دمشق ومات فيها، وهو من أعمدة الأدب الشعبي العربي، وله أسلوب خاص فى الفكاهة، فهو يبدأ بدايات في غاية الجدية لشد الانتباه، ثم تجد نفسك في غمار حكاية مضحكة أو نكتة أو يحكي لك أشياء تافهة، وهو يوهمك أنه يتحدث عن غرائب الدنيا!..
وقد أفرد له د. شوقي ضيف فصلاً كاملاً في كتابه "الفكاهة في مصر"، وكذلك فعل الأديب عبد الغني العطري في كتابه "دفاع عن الضحك"، وهو يرى أنه من رجال الفكر الذين كان لهم باع طويل في الأدب الضاحك، ويذكر أنه انتقل إلى دمشق وعمل فيها بخيال الظل (كركوز وعيواظ) ومات فيها، وقد انصرف إلى قول الشعر هزلاً وسخرية وكتابة النثر فكاهة وتهكماً، وصار هذا اللون من الأدب نهجاً عرف به، وأقبل الناس على شعره، وصاروا يتناقلونه ويحفظونه بل ويحاكونه.

ومن أشهر حماقات ابن سودون الشعرية، منظومته الشهيرة:
الأرض أرضٌ والسماء سماءُ والماء ماءٌ والهواء هواءُ
والروض روضٌ زينته غصونُه والدوح دالٌ ثم واوٌ حاء

والبحر بحرٌ والجبال رواسخٌ والنور نورٌ والظلام عماءُ
والحَر ضد البرد قولٌ صادقٌ والصيف صيفٌ والشتاء شتاءُ
والمسك عطرٌ والجمال محببٌ وجميع أشياء الورى أشياءُ
والمرُّ مرٌّ والحلاوة حلوةٌ والنار قيل بأنها حمراء
والمشي صعبٌ والركوب نزاهةٌ والنوم فيه راحة وهناءُ
كل الرجال على العموم مذكرٌ أما النساء فكلهن نساء!
والمنظومة قد تكون بهذه الصيغة أو تم تحريفها عن الأصل الذي اختلط بعشرات النصوص الساخرة التي حاكت النص الأصلي.

صاحب أعظم "تطبيلة" في تاريخ الشعر العربي

كفّره كثير من علماء السنة، فيما عده بعض علماء الشيعة شهيداً من الأبرار.

وبعيداً من هذا وذاك وحساباتهما، لا شك في أن متنبي المغرب والأندلس، ابن هانئ الأندلسي، قد تجاوز المديح إلى "التطبيل" وما هو أبعد حين قال في الخليفة الفاطمي المعز لدين الله:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ
فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
وكأنّما أنتَ النبيُّ محمّدٌ
وكأنّما أنصاركَ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتْ تُبشِّرنَا بهِ
في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتَّقينَ ومنْ بهِ
قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفّار
هذا الذي ترجى النجاةُ بحبِّهِ

وبه يُحطُّ الإصرُ والأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غداً
حقًّا وتخمد إن تراه النارُ

القصيدة طويلة ومعروفة، وبسببها وغيرها من المدائح الموغلة في التطبيل، قرَّب المعز لدين الله الفاطمي ابن هانئ وجعله شاعره وأراد أن يصحبه معه إلى مصر ليباهي به شعراء المشرق كما قال، إلا أن الشاعر مات في الطريق من القيروان إلى مصر، واختلفت الروايات في موته وبلغت ثماني روايات، أقربها أنه وُجد ملقياً على الشاطئ مشنوقاً بتكة سراويله.
ابن هانئ من أعظم شعراء القرن الرابع الهجري في المغرب والمشرق، إلا أن المعري أخذ عليه ضعف المعنى مع مقاربة غريب الألفاظ، فقال "ما أشبهه إلا برحى تطحن قروناً".
وقد خُلد ابن هانئ في أدبيات محبيه بقولهم:
إن تكن فارساً فكن كعليٍّ
أو تكن شاعراً فكن كابن هاني
كل من يدَعِيّ بما ليس فيهِ
كذّبته شواهدُ الامتحانِ
وكأن ابن هانئ قد مدح المعز لدين الله بما فيه!!

قصة حب وقصيدة وراء تسمية "باب مُصلّى" بدمشق!

ظهر لنا سبب جديد لتسمية منطقة باب مصلى بدمشق بهذا الاسم، ولكنه سبب شاعري، تقول الرواية: إن الطبيب يوسف حتي الذين كان يعمل في المستشفى التركي بدمشق إبان الحرب العالمية الأولى، أحب فتاة اسمها متيل، تسكن مع أسرتها في حي باب المصلى، ولما لم يجد وسيلة يعبر بها عن حبه، لجأ إلى صديقه الشاعر إلياس شبل الخوري، والتمس منه المساعدة، كما يفعل كثير من العشاق إذ يستعيرون أقلام غيرهم

للتعبير عن مكنونات أنفسهم ولواعج قلوبهم حتى يومنا هذا..
وبينما كان الدكتور يوسف حتي في طريقه إلى شملان، عرَّج على مدرسة الجامعة الوطنية لزيارة صديقه الشاعر شبل الخوري وطلب قصيدة تشرح حاله وأشواقه للحبيبة المأمولِ ودُّها.. فسأله الخوري: ما اسمها، قال له: متيل، فسأله وأين تسكن؟ فأجاب: بيتها في حي اسمه باب المصلى، فقال له الشاعر: على العين والرأس، اذهب إلى أهلك في شملان ومر علي في طريق عودتك إلى دمشق... وبالفعل عاد إلى دمشق مروراً بصاحبه فوجد وريقة وعليها هذان البيتان:

ومتيل في أرض الشآمِ
إلهُ حُسنٍ قد تجلى
ولذاك سمى الناسُ
مدخل بيتها باب المُصلى

ولمّا لم يجد طريقة سريعة لإيصال الأبيات إلى الحبيبة المفترضة، نشرها في مجلة القلم الدمشقية لصاحبها عبد الله النجار، فقرأتها متيل، ثم التقاها الدكتور يوسف وأعطاها الورقة، فقالت له: إنه وصف رائع، ولكن صاحبك الشاعر ما وصف حسن أخلاقي مثل ما وصف جمالي..
والغواني يغرهن الثناء، ويطلبن المزيد.
فانتهز الدكتور زيارة أخرى إلى أهله في شملان بلبنان، ونقل ما قالته للشاعر إلياس شبل، الذي نظم هذين البيتين:

لقد عتبتْ أني وصفتُ جمالها
ولم آت في وصفٍ بذكر خِلالها
فدلّت على طيب الخصال بعتبها
وهل عتبت إلا لحسن خصالها؟

ولما عاد الطبيب العاشق بالبيتين، أبدت سرورها وبالغ إعجابها، وطلبت المزيد، وما زال العاشق يذهب بطلباتها إلى الشاعر حتى مل الأخير وضجر وكتب لها:

متيلُ لا تطلبي مني المزيد على
ما قلتُ في وصفكم من غير مرآكِ
والله لو أجمعت أهل القريض على

وصف المحاسن أعيا الكل بيتاكِ
وحقيقة استرعى اهتمامي جداً أول بيتين كتبهما إلياس شبل الخوري لمتيل، ولم أرَ أنهما أشبعا شغفي، لذا أجزت بيتيه بالقول:

"ومتيل في أرض الشآمِ
إلهُ حسن قد تجلى
ولذاك سمى الناسُ
مدخل بيتها باب المصلى"
يا يوسف المسفوح
في أطوارها شمساً وظلا
لا تلتمس عند التي
تلهيك بالأشعار وصلا
هي كالغيوم.. تَعزُّ أن تهمي
وتكبُرُ أن تُملَّا
هي كالنجوم.. بها اهتدى نفرٌ
وبعض الناس ضلّا
هي كالزمان.. نعيش حاضرَه
ونُكسر إذ تولّى
فارفق بنفسك لا تدع
أشواقها تضنيك ذلا
وإذا عليك تدللت
كن مثلها كِبْراً ودَلّا

بردة البوصيري

قصة فانتازية لقصيدة عظيمة

يروى أن شاعراً صوفياً شهيراً عاش في القرن السابع الهجري، أي منذ نحو 800 عام، أصابه الفالج أي الشلل النصفي، وكان يدعى محمد بن سعيد البوصيري، نسبة إلى بلدته أبو صير في بني سويف، بمصر، ففكر في إنشاد قصيدة، يستشفع بها إلى الله أن يعافيه، وكرر إنشادها، وأكثر من دعائه وتوسلاته، وذات ليلة نام البوصيري، فرأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يمسح على وجهه بيده المباركة، وألقى عليه بُردة، ليستيقظ الرجل فيجد نفسه قد برؤ من الفالج، وعاد إلى الحركة، فسميت القصيدة البُردة أو البُرأة، وتسمى أيضاً "الميمية" لأن رويَّها الميم، وتسمى كذلك "الكواكب الدرية في مدح خير البرية".

وبردة البوصيري من عيون الشعر العربي وأشهر القصائد في تاريخ العرب، تقع في160 بيتاً، وتتناول سيرة الرسول الكريم من وجهة نظر صوفية.. وهي أكثر قصيدة تمت معارضتها من قبل الشعراء، حتى كأن لكل شاعر عربي بُردته التي نسجها على منوال بردة البوصيري، أما أشهر المعارضات فهي قصيدة أحمد شوقي "نهج البردة" التي دائماً ما يفاضل النقاد والقراء بينها وبين البردة الأصلية.

ولم تقف شهرة البردة عند معارضتها من الشعراء في كل العصور، بل حظيت بشروح وأبحاث ودراسات قلّ أن يحظى بها نص أو قصيدة لشاعر آخر.. بيد أنها لم تسلم من الهجوم والنقد الذي وصل حد التكفير، إذ رأت بعض فرق السلفية في القصيدة كفراً صراحاً، فيما ذهب بعض الصوفية إلى عقد مجالس ذكر خاصة بها، وذهب عامتهم إلى حد الاستشفاء بها!..

وبين هذا وذاك، نرى في القصيدة شعراً عظيماً نقياً خالداً عز نظيره في المدائح النبوية، ولا نتبنى قصتها التي أكدها بعض المؤرخين ونفاها آخرون ورأوها من شطحات الصوفية

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تَرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالْعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنًى
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتَ بِالأَلَمِ

يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حَالِي لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِمِ

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوَقَّرُهُ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَالِي مِنْهُ بِالكَتَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غِوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجَمِ

فَلاَ تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةٌ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلاَ حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إِلَى
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لاَ تَعْدُو عَلَى العِصَمِ

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ
لَوْلاَهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ
ـنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ
أَبَرُّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

وَكُلَّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهُ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمْ

أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
فِي القُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدِ
صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهاَ لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

أَكْرِمْ بِخَلْقٍ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ
بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّه وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ
طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ
يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِينَ ظَمِي

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْنًا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلاَنُ البَشَائِرِ لَمْ
يُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُوا إِثْرَ مُنْهَزِمِ

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ
أَوْ عَسْكَرٍ بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللُّقَمِ

مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً
تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

لاَ تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبَوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسِبٍ
وَلاَ نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أُرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ البِطَاحَ بِهَا
سَيْبًا مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ العَرِمِ

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَدِيحِ إِلَى
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَانِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
عَنْ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الْحُرَمِ

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالقِيَمِ

فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيْهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى
أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَىَ مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمَ

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَعْدَلَةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَغْيًا وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ الصَّاحِبَ العَلَمِ

حَتىّ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَاَوًا لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنْ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيْتَ مِنْ نِعَمِ

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَنَا
مِنَ العِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ

لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ

مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتىّ حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
يَزْمِى بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَدَبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ مُصْطَلِمِ

حَتىّ غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ وَهْيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا
فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الوَخَمِ

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلاَمُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنَعَجِمِ

شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَالوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّلَمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نَصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدَلٍ
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تَخْشَى عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ
إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَآذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبًا
وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الْكَرَمِ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيَن فَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى وَالنُّقَا وَالحِلْمِ وَالْكَرَمِ

يا رَبِّ بِالمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا
وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الكَرَمِ

وَاغْفِرْ إِلَهِي لِكُلِ المُسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُونَ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي الحَرَمِ

بِجَاهِ مَنْ بَيْتَهُ فِي طَيْبَةٍ حَرَمٌ
وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

وَهَذِهِ بُرْدَةُ المُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ
وَالحَمْدُ للهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِّينَ مَعْ مِائَةٍ
فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ

الشعراء واللون الأحمر

هل تحبين اللون الأحمر وترتدينه لإشعال وإشغال قلوب الناظرين؟

لا بد أنكِ سمعتِ قول بشار بن برد، أشهر شاعر أعمى أحس الألوان وعبّر عنها، إذ يقول:

وإذا دخلتِ تقنَّعي

بالحسن، إن الحسن أحمر

وعلى منواله غزل كثير من الشعراء عبر الأزمنة، متغزلين بلباس الفاتنات الأحمر.

ومن أشهر ما قيل في هذا الباب، بيتان للشاعر الحمصي بطرس كرامة، وهو من شعراء القرن التاسع عشر، يقول في فتاة ترتدي اللون الأحمر:

ورديةُ الخدِّ بالورديِّ قد خطرت

تميس تيهاً وتثني القدّ إعجابا

لم يُرضِ قامتَها الهيفاء ما فعلت

حتى اكتست من دم العشاق أثوابا

فالله أكبر على من قُطّعت لها ثياب من دم العشاق!

ولابن البغدادي في المعنى نفسه:

قالوا ملابسها حمرٌ، فقلت لهم

هذي الثياب ثياب الصيد والقنَصِ

ترمي بسهم لحاظٍ طالما أخذت

أسْد القلوب فتلقيها إلى قفَصِ

واللونُ في الثوب إما من دِما مهجٍ

او انعكاس شعاع الخد بالقُمُصِ

ويبدو أن اللون الأحمر انتشر في أوساط الصبايا انتشاراً واسعاً في القرن التاسع عشر، وأصبح اللون الغالب على ثيابهن، وفق ما يؤكد صاحب كتاب "طرائف الشعراء في

مجالس الأدباء"، وكنَّ يسمينه اللون الناري، وينقل صاحب الكتاب عن سليم عنجوري أحد شعراء القرن التاسع عشر وبداية العشرين قوله فيهن:

بدرية الوجه أهدى الليلُ كوكَبهُ

تاجاً لها وكستها الشمس ثوبَ شفقْ

تضوّع المسك من خِيلان مبسمها

فمِن هناك استبى الروضُ الشذا وسرقْ

أعار ياقوتُ خديها غلائلَها

شعاعَ حسنٍ قلوبَ الناظرينَ سرقْ

ولعل من أشهر أغانينا الشعبية العابرة للمجتمعات واللهجات أغنية

يا أم الثوب الأحمر

ثوبك عاجبني لونو

قلبي عليكي حنيّن

قلبك عليّ شلونو؟..

فؤاد جرداق يهجو لبنان الذئاب

أيام الانتداب الفرنسي على لبنان (1920- 1943)، شكا الشاعر فؤاد جرداق من أحوال البلاد في جلسة صفاء مع أصدقائه، وكانت شكواه شعراً بقصيدة طار ذكرها فيما بعد، عُرفت بمطلعها: وطن سراحين الذئاب تسوسهُ...

وكما هو متوقع من مجالس الإخوان والأصحاب، انبرى منهم من تطوع ووشى بالشاعر عند المستشار الفرنسي في مرجعيون، الذي أحال الموضوع إلى ضابط شرطة ليحقق مع الشاعر ويتخذ ما يلزم.

بعث الضابط فؤاد الصباغ بمن جاءه بالشاعر مخفوراً إلى مكتبه، وسأله: أنت قلت هذه الأبيات؟ فطلب فؤاد جرداق أن يطلع على الأبيات قبل أن يجيب، وراح يقرأ ما فيها بصوت عالٍ، وكأنه يرى هذه الأبيات لأول مرة:

وطنٌ سراحينُ الذئاب تسوسهُ

ماذا يفيد لشعبه تقديسهُ

صمت الألى أهل الصحافة والنهى

وتفردت في الرأي فيه تيوسهُ

وطنٌ بلا طولٍ ولا عرضٍ ولا

شكلٍ ولا حجمٍ، فكيف أقيسهُ؟

فقاطعه الضابط متسائلاً: قل لي، كيف تقيس مساحة لبنان إذن؟

فطن الشاعر إلى الحيلة، فالضابط يريد أن يوقع به ويحصل على اعترافه!

فرد الشاعر: سامحك الله، ومن قال إني أقصد لبنان؟!

فسأل الضابط: طيب أي دولة إذن كنت تقصد؟ أجاب الشاعر: كنت أعني بلاد عربستان.. فابتسم الضابط وقال: وإذا أردت أن تختم هذه القصيدة عن عربستان ببيت عن لبنان، ماذا تقول؟ فأنشده شاعرنا وهو يتذكر وشاية الصديق:

يا حبذا وطني على علاتهِ

مهما تمادى بالخنى جاسوسهُ

طبعاً ازداد الضابط إعجاباً بفطنة الشاعر، وأطلقه من فوره، كما تقول الحكاية.

أما القصيدة فقد تعرضت لتغييرات كثيرة في المطلع وكثير من الأبيات، ولا نكاد نجد نسختين متشابهتين، ونورد لكم بعضاً من أبياتها كما جاءت في كتاب "شعراء لبنانيون منسيون":

وطنٌ سراحينُ الذئاب تسوسهُ

ماذا يدرُّ لشعبه تقديسهُ

وطنٌ تطير من الأسى أرواحهُ

وتثور من جور الطغاة نفوسهُ

ماذا أقول بموطنٍ حكامهُ

رهبانهُ وشيوخه وقسوسهُ

وعلومه أديانه وعميده

خوَّانهُ وزعيمه جاسوسهُ

ربضت على الصبر الجميل أسودهُ

وتحكمت بالعاقلين تيوسهُ

خانت حِماه رجاله وهي التي

أمست وغربان الخراب تدوسهُ

وزراؤه أوزاره ورجالهُ

أصلاله ورئيسه مرؤوسهُ

وكذاك نواب البلاد نوائبٌ

نزلت فزاد من الأذى كابوسهُ

قانونه جَورٌ وعلم بناتهِ

إثمٌ وقتل الناهضين دروسهُ

وطنٌ يفضل أن يموت أبيُّهُ

وأنوفه كي يستعزَّ خسيسهُ

عبثت به أيدي الجناة، كما به

دبت جراثيم الخنوع وسُوسهُ

وطنٌ بلا طولٍ ولا عرضٍ ولا

سُمكٍ ولا جرمٍ فكيف أقيسهُ؟

السيف ملك جبانه، والمال

ملك بخيله، والمومسات تسوسهُ!

القصيدة كتبها فؤاد جرداق في ثلاثينات القرن الماضي، وعاش الشاعر بين عامي (1909- 1965)، ولُقب "شاعر المرج" نسبة إلى بلده "مرجعيون"، وهو شقيق الشاعر والصحفي الشهير جورج جرداق.

ناضل فؤاد جرداق ضد الاحتلال الفرنسي والحكام المحليين التابعين له، وتعرض للسجن والاضطهاد، وله ديوان شعر واحد منشور بعنوان "الهواجس".

حكايات شعرية لظريف دمشق أحمد الجندي

أنا الّذي عشـــتُ بِوَهمِي فما

أعرفُ غيرَ الوهمِ لي موطنا

يا شــقوةَ الإحساسِ ممّا أرى

ويا ضلالَ الرّوح أين الهنا؟

يتبعني الحرمانُ أنّى مشـــت

عيني، وأنّى أبلـــغ المنحنى

كأنّما عمريَ أنشـــــــودةٌ

أخطأ فيها اللّحنَ مَنْ لَحَّنَـــا

الأبيات لأحمد الجنديّ، وهو أديبٌ وباحثٌ وناقدٌ ومؤرّخ سوري، له مؤلّفات كثيرة، وهو إلى ذلك موسيقيّ وعازف عود بارع... من مواليد السّلمية، قضى معظم سنوات عمره في دمشق، ورافق أحداثها وسامر ظرفاءَها..

كان رجلاً ضخماً مكتنزاً تحاصر الدّهونُ خصرَه وتتسلّق إلى صدره بشكل لافت، وتصل إلى وجنتيه فتجعلهما زاهيتين لامعتين حمراوين.. وإلى جانب ذلك كان ظريفاً غايةً في الظّرف، كثيرَ التّردّد على دار المرحوم فخري البارودي؛ الّذي كان شيخ ظرفاء دمشق... وقد التقاه في تلك الدّار الشّاعر العراقيّ أحمد الصّافي النّجفيّ، وسرعان ما استوقفه فرقُ وزنٍ بينهما يزيد على خمسة أضعاف، فبادره النّجفيُّ بالقول وكان نحيلاً جدّاً:

ــ إنّ الّذي يراك من بعيد يحسبك غليظاً.

فسأله أحمد الجنديّ بلهفة: والآن، بعد أن رأيتني عن قربٍ ماذا وجدت؟

فأجابه الصّافي ساخراً: أغلظَ بكثير.

وقال النّجفيّ مداعباً الجنديّ:

رأيـنـا أحمد الجنديَّ يعلو

حـصـانـاً كـان أشـبه بالأتانِ

فلم نَرَ قبلَ أحمدَ إذْ علاه

حـمـاراً راكباً فوق الحصانِ

وعن سمنته المفرطة، سأله أحدهم يوماً:

ويُذكر أنّ حسني تلّلو (وهو الظّريف الثّاني في دمشق بعد البارودي)، قد دُعيَ مرّة إلى الغداء لدى أحد أصدقائه، وفي المساء التقى أحمد الجندي فراح يعدّد ألوان اللّحم الّذي تناوله: كان الغداء عشرين كيلو غراماً من اللّحم، وعشرين زوجاً من الكلاوي، وعشرين زوجاً من بيض الغنم، وعشرة كيلو غرامات كبدة، فقال له الأستاذ الجنديّ:

- الظّاهر يا حسني... كنت معزوماً في المسلخ.

وبينما كان الشّاعر أحمد الجندي جالساً في مقهى فريال مع بعض (أفراد الشّلّة) من الأدباء والشّعراء تقدّم منه أحد المتشاعرين وقال: لقد صار عندي ديوان فيه أكثر من مائة قصيدة من أبدع الأشعار؛ ولكنّي لا أنوي طبعَه ونشرَه، وسأترك ذلك لينشر بعد وفاتي.. فابتسم الأستاذ الجنديّ وقال له: الله يطوّل عمرك...

كان أحمد الجندي يضيق ذرعاً بكثرة الأشخاص الذين يكتبون الشعر في مسقط رأسه بلدة "السلمية" بمحافظة حماة، فيعبر عن هذا الضيق بقوله: كل شخصين تراهما ماشيين في أحد أزقة السلمية هما عبارة عن ثلاثة شعراء!

ومن أطرف مواقفه أن أحد الشّعراء نشر قصيدة في إحدى الصّحف المحلّيّة يقول فيها:

لم أعد أعرف شرقي من غربي

وصديقتي تنتظرني عند موقف الباص

إنّ القدر يلعنني...

في اليوم التّالي استطاع أحمد الجندي أن يحصل على رقم هاتف هذا الشّاعر.. اتّصل به، وقال له: أنا القدر!

أغداً ألقاك

سجن الهادي آدم وسر خلوده

أغدأ ألقاك.. يا لهف فؤادي من غدِ

وأحييك، ولكن بفؤادي أم يدي

أم بطرفٍ خاشع اللمح كليلٍ مُجهدِ

لست أدري كيف ألقاك ولكني صدي

ظامئٌ أرهقه البين وطول الأمدِ

أنت يا جنة حبي واصطخابي وجنوني

أنت يا قبلة روحي وانطلاقي وجنوني

أنت يا معبد صمتي وصلاتي وسكوني

أغداً ألقاك يا لهف فؤادي من غدِ

وأحييك ولكن بفؤادي أم يدي

أنا أخشى من غدٍ هذا وأرجوه اقترابا

كنتُ أستدنيه لكن هبتُهُ لما أهابا

وتولت دهشة القرب فؤادي فأنابا

هكذا أستبطن العمر نعيماً وعذابا

مهجةٌ سكرى وقلبٌ مستهامٌ يتغابى

هذا بعض من قصيدة "الغد" للشاعر السوداني الراحل الهادي آدم، لا بد أنه شُبِّهَ لكم، نعم إنها هي، أو هي النسخة الأصل لقصيدة "أغداً ألقاك" التي غنتها أم كلثوم للهادي آدم بألحان الموسيقار عبد الوهاب.

أما كيف وصلت أم كلثوم إلى القصيدة وكيف غنت لشاعر السودان الشهير الهادي آدم، فتقول القصة أيها الأحبة، إن أم كلثوم قررت بعد هزيمة 1967 دعم المجهود الحربي المصري، وإطلاق مشروع فني قومي عربي، بحيث تأخذ قصيدة لشاعر من كل دولة عربية تزورها وتغني فيها، وبالفعل أخذت من جورج جرداق "هذه ليلتي"، ومن الأمير عبد الله الفيصل "من أجل عينيك"، ومن نزار قباني "أصبح عندي الآن بندقية" و"رسالة في رثاء جمال عبد الناصر".. ولم يكتمل مشروعها بسبب توقفها عن الغناء أواخر عام 1971 ورحيلها عام 73. وقبل 1967 كانت أم كلثوم لا تغني إلا لشعراء مصريين أو قصائد من التراث. باستثناءات نادرة منها مثلاً "ثورة الشك" عام 1962 للأمير عبد الله الفيصل.

نعود إلى قصتنا عن الهادي آدم وقصيدة "أغداً ألقاك"، فبعد زيارة أم كلثوم الشهيرة للسودان وغنائها فيها عام 1968، وعدت جمهورها هناك أنها ستغني لشاعر سوداني، وبالفعل بدأت البحث عن نص، وساعدها الشاعر جودت صالح الذي كان مستشاراً لها، فنشر مقالاً عن زيارتها للسودان، واقترح عليها عدة قصائد لشعراء سودانيين، من بينها

قصيدة "الغد" من ديوان الشاعر الهادي آدم "كوخ الأشواق" الصادر عام 1948.. وبالفعل وقع الاختيار عليها، وعلى الموسيقار محمد عبد الوهاب لتلحينها، وفي عام 1970 تلقى الهادي آدم اتصالاً من وزارة الثقافة السودانية يخطرونه أن أم كلثوم قررت غناء قصيدته وأنها تريد لقاءه لإجراء تعديلات تناسب اللحن والأداء، وسافر الهادي آدم إلى مصر، والتقى أم كلثوم وعبد الوهاب، وقَبِلَ بإجراء تعديلات جذرية على قصيدته، حتى لتكاد تكون قصيدة أخرى، وجدير بالذكر هنا أن هذه القصيدة خضعت لأكبر عملية تعديلات أجرتها أم كلثوم على قصيدة، ومعلوم أنها كانت تعدل كثيراً، وكان هذا مثار خلاف بينها وبين بعض الشعراء، ويقال إن الشاعر الغنائي مأمون الشناوي كان أكثر من عاندها ورفض تعديلاتها على قصائده، ما أخر التعاون بينهما حتى العام 1961 حيث غنت له "أنساك" ثم بعدها "كل ليلة وكل يوم" و"بعيد عنك" و"دارت الأيام".

أغدأ ألقاك كانت جاهزة للغناء والإصدار عام 1970، إلا أن وفاة جمال عبد الناصر أخرت غناءها حتى العام التالي، فصدحت بها كوكب الشرق لأول مرة الخميس الأول من مايو/ أيار عام 1971 على مسرح سينما قصر النيل.. وحبست الهادي آدم فيها، فأصبح شاعر "أغداً ألقاك" وتجاهل الناس شعره ومسرحه وريادته في مجال التعليم.. وها نحن ندعو لفتح صفحات الرجل المشرقة ما وراء "أغداً ألقاك" وإن كانت خيرَ بوابة لولوج عالم هذا الشاعر الكبير.

معروف الرصافي والأرملة المرضعة

كان الشاعر العراقي معروف الرصافي جالساً في دكان صديقه محمد علي، الكائن أمام جامع الحيدر ببغداد، وبينما كان الرصافي يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه التتنجي (لفظة تركية تعني بائع التبغ)، وإذ بإمرأة يوحي منظرها بأنها فقيرة، تحمل صحناً من (الجينكو/ معدن مشهور في تلك الحقبة)، وطلبت همساً من صاحب الدكان شيئاً، فردها بلطف وانصرفت.

استفسر الرصافي من صاحبه عن المرأة والحديث الذي دار بينهما همساً، فقال صاحب الدكان: إنها أرملة تعيل يتيمين، وهم الآن جياع، وتريد أن ترهن الصحن بأربعة قروش

كي تشتري لهما خبزاً، فما كان من الرصافي إلا أن لحق بها وأعطاها اثني عشر قرشاً، وهو كل ما يملكه حينها، فأخذت الأرملة القروش بتردد وحياء، وأرادت إعطاء الصحن للشاعر الذي رفض وغادرها والألم يعتصر قلبه، وتقول الحكاية إن الرصافي لم ينم ليلته حتى كتب قصيدته الشهيرة "الأرملة المرضعة" التي سار ذكرها في الأجيال اللاحقة وما زالت مبثوثة في المناهج التعليمية العربية حتى يومنا هذا:

ولعل أجواء الجوع الضاربة في بعض أوطاننا وبعض مناطق العالم في هذه الأيام تستدعي القصيدة وآلامها، يقول الرصافي:

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها

تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

أَثوابُها رثَّةٌ والرِّجْلُ حافيةٌ

والدمع تذْرفه في الخدِّ عيناها

بكت من الفقر فاحمرَّت مدامعها

واصفرَّ كالوَرْس من جوعٍ مُحياها

مات الذي كان يحميها ويسعدها

فالدهر من بعده بالفقر أشقاها

الموت أفجعها والفقر أوجعها

والهمُّ أنحلها والغمُّ أضناها

فمنظر الحزن مشهودٌ بمنظرها

والبؤس مرآهُ مقرونٌ بمرآها

تمشي وتحمل باليُسْرى وليدَتها

حَمْلًا على الصَّدْر مدعومًا بيُمناها

تقول: يا ربُّ لا تترك بِلا لبنٍ

هذي الرضيعة وارحمني وإياها

يا ربُّ ما حيلتي فيها وقد ذبلت

كزهرة الروض فَقْدُ الغيث أظماها

يكاد ينقدُّ قلبي حين أنظرها

تبكي وتفتح لي من جوعها فاها

ويْلُمِّهَا طفلةً باتت مروَّعةً

وبتُّ من حولها في الليل أرعاها

وَيح ابنتي إنَّ ريبَ الدهر روَّعها

بالفقر واليتم، آهًا منهما آها!

كانت مصيبتها بالفقر واحدةً

وموت والدها باليُتم ثنَّاها

***

هذا الذي في طريقي كنت أسمعه

منها فأثَّر في نفسي وأشجاها

حتى دنوت إليها وهْي ماشيةٌ

وأدمعي أوسعت في الخدِّ مجراها

وقلت: يا أُختُ مهلًا إنني رجلٌ

أشارك الناس طُرًّا في بلاياها

سمعت يا أُخت شكوى تهمسين بها

في قالةٍ أوجعت قلبي بفحواها

هل تسمح الأخت لي أنَّي أشاطرها

ما في يدي الآن أسترضي بهِ الله

ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي

دراهمًا كنت أستبقي بقاياها

وقلت: يا أُخت أرجو منك تكْرمتي

بأخذها دونما مَنٍّ تغشَّاها

فأرسلتْ نظرةً رعشاءَ راجفةً

ترمي السهام وقلبي من رماياها

وأخرجَت زفَراتٍ من جوانحها

كالنار تصعد من أعماق أحشاها

وأجهشت ثم قالت وهي باكية:

واهًا لمثلك من ذي رقَّةٍ واها

لو عَمَّ في الناس حِسٌّ مثل حسِّك لي

ما تاه في فَلَوات الفقر مَن تاها

أو كان في الناس إنصافٌ ومرحمةٌ

لم تشكُ أرملةٌ ضَنكًا بدنياها

وإن كان الرصافي قد قال: ويْلُمِّهَا (ويلُ أمها) طفلةً باتت مروعةً، فإننا نقول لو شاهد حالتنا الآن لقال: ويلُمِّهَا "أمةً" باتت مروعةً..

تسبيع البردة للبيضاوي

أمن تذكر جيران بذي سلمِ

مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

لاشك في أن قصيدة البردة أو الكواكب الدرية في مدح خير البرية، للإمام البوصيري، هي من أعظم ما كُتب في مدح الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

مئات القصائد حاولت تمثُّل قصيدة البوصيري ومعارضتها أو النسج على منوالها، وهذا السعي متواصل حتى يومنا هذا، وقد اشتهرت عدة نسخ أبرزها رائعة أحمد شوقي "ريم على القاع".

لكن ما غاب عن المشهد الشعري الرسمي، وحضر في أجواء الحضرات والإنشاد الديني، تخميسات وتسبيعات قصيدة البردة. ومن أشهر القصائد في هذا الباب تسبيع الإمام عبد الله بن عمر البيضاوي، وهو عالم وفقيه وشاعر من القرن السابع الهجري.

أما فن التسبيع في الشعر، فهو أن ينظم الشاعر خمسة أشطار على روي صدر بيت لشاعر آخر، فيعود البيت مؤلفاً من سبعة أشطار.

والفريد في تسبيع البيضاوي للبردة، هو أنه بدأ كل بيت بلفظ الجلالة "الله" والتزم ذلك في القصيدة كلها، وهو أمر شاقٌ وتحدٍ عسير.

وهذه مقتطفات من تسبيع البيضاوي:

مولاي صلِّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلِّهِمِ

الله يعلم ما بالقلب من ألمِ ومن غرامٍ بأحشائي ومن سِقمِ

على فِراق فريقٍ حلَّ في الحرمِ فقلتُ لما همى دمعي بمنسجمِ

على العقيق عقيقاً غيرَ منحَسِمِ

أمن تذكر جيرانٍ بذي سلمِ مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدم

الله لوَّع أحشائي بضارمةٍ لا ينطفي حرُّها يوماً بساجمةٍ

وكم سألتُ ونفسي غيرُ سالمةٍ هل جاء فيحُ قُبا منها بناسمةٍ

أم من لواعجِ أشواقٍ ملازمةٍ

أم هبت الريح من تِلقاء كاظمةٍ وأومض البرق في الظلماء من إضمِ

الله أفهمَ قلبي منذ كنت فتى فلا تراني لغير الحب ملتفتا

متى خلا منهمُ طيُّ الضمير متى كم عاذل عاد لي بالعذل ما سكتا

وصاحبٍ صاح بي لما إليَّ أتى

فما لعينيك إن قلتَ أكففا همتا وما لقلبك إن قلتَ استفق يَهِمِ

الله يطفئ ناراً بالحشا اتقدت أسلتُ دمعي من الأجفانِ ما خَمدتْ

أشار قلبي لطرفي عندما وردتْ شهودُ وجدي على خدِّيْ بما وَجَدَتْ

وكم إشارةِ وجدٍ منكَ قد وَجَدَتْ

فكيف تنكر حباً بعدما شهدت به عليكَ عدول الدمع والسِّقَمِ

النص كاملاً تجدونه في كتاب "تسبيع البردة البوصيرية في مدح خير البرية".

شرف الخصومة

عمر أبو ريشة يمدح خصمه رئيس وزراء سوريا

شهد الله ما انتقدتك إلا

طمعاً أن تكون فوق انتقادي

كان بين الشّاعر الكبير عمر أبو ريشة ورئيس وزراء سوريا سعد الله الجابريّ رحمهما الله جفاءٌ طويلٌ بعد انتقادات وجّهها الشّاعر للجابريّ.. وشاء القدر أن يتوفّى الرّئيس الجابريّ عام 1947؛ وهما في الجفاء والقطيعة.. وفي الذّكرى الأولى لرحيل الرّئيس الجابريّ في 5 نيسان 1948 أصرَّ آل الجابريّ أن يكون الشّاعر عمر أبو ريشة أوّلَ المتكلّمين في رثائه.. فأجابهم عمر: أريد أوّلًا أن أشاهد المنزل الّذي كان يقطنه الفقيد قبل وفاته؟.. فأجابوه: حبًّا وكرامة.. وتوجّه أبو ريشة إلى المنزل وكان في شارع شكري القوّتليّ.. وعندما صعد إلى الطّابق الثّاني شاهد غرفة النّوم وبها نافذةٌ واحدة مطلّة على الشّارع، أحدُ زجاجها مكسور، وطَبَقٌ من الكرتون يغطّي نصف النّافذة.. فقال أبو ريشة مستغربًا ومتعجّبًا: هنا كان ينام رئيس وزراء سوريا؟.. فأجابوه: نعم.. فهو لم يقبض قرشًا واحدًا من الدّولة لأنّه كان يوقّع في نهاية كلّ شهر على جدول الرّاتب، ويطلب إلى

مدير مكتبه أن يوزّعه على المستخدمين.. وهنا انتفض عمر أبو ريشة وهزّته هذه المأثرة الفريدة ورثاه في قصيدة عصماء تجاوزت السبّعين بيتًا، منها هذه الأبيات:

هـيكلَ الخلدِ لا عدتْـكَ العَوادي

أنــتَ إرثُ الأمـجـادِ لـلأمـجادِ

بوركتْ في هـــواك كلُّ صلاة

صعّدتهـــــــــا حناجرُ العُبّادِ

منكَ هبّتْ سُمرُ الرّجال وأدمت

حاجبَ الشّـــــمس بالقنا الميّادِ

والمروءاتُ كلُّ ماحملتها البيـ

ـد في طول ســـيرها من زادِ

هتفت بالجهاد حتّى تشـــــظّى

كلُّ تاجٍ على صخور الجهـــادِ

وإليك انتهى مطـــــافُ علاها

دافقَ الخير مُشـــــرق الأسعاد

سـعـدُ يـــا ســعـدُ إنَّـــه لَـنـداءٌ

مـن حنينٍ فهل عرفتَ المُنادي

أنـا يـاسعدُ ما طويـتُ على اللُّؤمِ

جناحي ولا جرحْتُ اعتقادي

شَـهِـدَ اللهُ مـــا انـتـقــدْتُكَ إلّا

طـمَـعًا أن أراكَ فـوقَ انـتـقادي

وكـفى الـمرءَ رفـعةً أن يُـعادَى

فــي مـيـادينِ مـجـدِهِ ويُـعـادِي

إنَّ السراب مع الكرامة يُشربُ

غازي القصيبي يعاتب مليكه

بيني وبينك ألف واشٍ ينعبُ
فعلام أسهبُ في الغناء وأطنبُ

صوتي يضيعُ ولا تُحسُّ برجعه
ولقد عهدتك حين أنشد تَطربُ

وأراك ما بين الجموع فلا أرى
تلك البشاشةَ في الملامع تعشبُ

وتمرُّ عينكَ بي وتهرع مثلما
عَبَرَ الغريب مُروَّعاً يتوثبُ

بيني وبينك ألف واشٍ يكذبُ
وتظلُّ تسمعُهُ ولستَ تُكذِّبُ

خدعوا فأعجبكَ الخداع ولم تكن
من قبلُ بالزيف المُعطَّر تُعجبُ

سبحان من جعل القلوب خزائناً
لمشاعر لمَّا تزل تتقلبُ

قل للوشاة أتيتُ أرفع رايتي
البيضاء فاسعَوا في أديميَ واضربوا

هذي المعارك لستُ أحسن خوضها
من ذا يحارب والغريمُ الثعلبُ

ومَن المناضلُ والسلاح دسيسةٌ
ومن المكافحُ والعدو العقربُ

تأبى الرجولة أن تُدنِّسَ سيفَهَا
قد يُغلَبُ المقدام ساعةَ يغلِبُ

في الفجر تحتضنُ القفارُ رواحلي
الحرُّ حين يرى الملالةَ يهربُ

سأصبُّ في سمع الرياح قصائدي
لا أرتجي غنماً ولا أتكسبُ

وأصوغ في شفة السراب ملاحمي
إنَّ السراب مع الكرامة يُشربُ

أزِفَ الفِراقُ فهل أودِّعُ صامتاً
أم أنت مصغٍ للعتاب فأعتبُ

يا سيدي والظلم غير محببٍ
أما وقد أرضاك فهو محببُ

ستقال فيك قصائد مأجورةٌ
فالمادحون الجائعون تأهبوا

دعوى الوداد تجولُ فوق شفاههم
أما القلوبُ فجال فيها أشعبُ

لا يستوي قلمٌ يُباع ويشترى
ويراعةٌ بدم المحاجر تكتبُ

أنا شاعر الدنيا تبطنَّ ظهرَهَا
شعري.. يشرِّقُ عبرها ويغرِّبُ

أنا شاعر الأفلاك كلُّ كُليمَةٍ
مني على شفق الخلود تلَهَّبُ

قصيدة (الرسالة الأخيرة من المتنبي إلى سيف الدولة) واحدة من أشهر قصائد العتاب، عتابِ الشعراء للملوك، وفيها خروج عظيم على الأعراف الاجتماعية والسياسية والدبلوماسية، إذ إنَّ المعاتِبَ هو الشاعر الوزير غازي القصيبي، والمُعاتَبَ هو الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، أما سبب العتب فهو الجفاء الذي ألفاه الوزير الشاب المجتهد آنذاك من مليكه، وكان القصيبي على رأس وزارة الصحة بين

عامي 1982 و1984 وكان قد انتهج مساراً إصلاحياً حازماً لم تعهده المملكة في ذلك الوقت، ولم يُرضِ الفاسدين المتنفذين الذين أوقعوا به عند الملك، فجفاه.. ولما أحس القصيبي جفوة ومُنع عن باب مليكه، لم يجد أمامه إلا الشعر رسولا، ولكن.. من يجرؤ على نشر قصيدة عتاب للملك.. ومن غيرُهُ، صديق عمر القصيبي، رئيس تحرير صحيفة الجزيرة آنذاك، خالد المالك، يقول الدكتور محمد عبد الله العوين في مذكراته عن عمله في صحيفة الجزيرة وعن تلك الحادثة تحديداً: "في ضحى يوم من عام 1404هـ (1984 م) دخلت مكتب رئيس التحرير الأستاذ خالد المالك لأقدم له مواد ملحق (المساء الثقافي).. كان (أبو بشار) غارقاً في أوراق بين يديه حتى شككت أنه لم يعلم بدخولي مكتبه إلا بعد أن رفعت صوتي محيياً، وكأنما أتيت في الوقت المناسب، قدم لي قصيدة بخط اليد وقال إقرأها جيداً واكتب لها مقدمة، هذه قصيدة جديدة للدكتور غازي القصيبي لابد أن نحتفي بها وننشرها على صفحة كاملة كالمعتاد مع مقدمة نثرية تعبر عن مضامينها. قلت: أبشر. أخذت القصيدة، وفي الطريق إلى مكتبي استعدت احتفاء الجزيرة بقصائد غازي التي تعوَّدَ القراء أن يروها منشورة بإخراج متميز على صفحة كاملة مرفقة بصورة الشاعر الكبير. قرأت القصيدة مرة ومرتين وثلاثاً، بل أنشدتها وكأنني في مجلس سيف الدولة الحمداني.

نشرت (الجزيرة) القصيدة في حلة زاهية كالمعتاد يوم الثلاثاء وكان غازي حينها وزيراً للصحة، وفي يوم الخميس تمت إقالته من منصبه، وتبعه رئيس التحرير، ولكن غازي عين لاحقاً سفيراً في البحرين ثم في لندن ثم وزيراً للمياه والكهرباء، ثم العمل، وعاد الأستاذ خالد المالك رئيساً لتحرير الجزيرة ثانية عام 1419هـ بعد غيبة أربعة عشر عاماً عنها.

رسالة إلى صديق في قبره

اصطدم الشّاعر الكبير عبد الله البردّوني في زمن الرّئيس السّلّال مع زميله في الإذاعة حينها الشّاعر عبد الله حمران؛ بسبب تداخل بعض الصّلاحيّات بينهما.. ثمّ ذهب الأمرُ بعد سنواتٍ أدراجَ الرّياح، وكان أن التقيا في دعوة عشاء على طاولةٍ واحدة.

لاحظ حمران أنّ البردّونيَّ غارقٌ في الحزن، فلقد كان وقتها عائداً من سوريّا بعد وفاة زوجته الأولى، فتوجّه إلى البردّونيّ بالقول: بعد أسبوعين سيخفّ حزنُك يا أستاذ..

يقول البردّونيّ: تعجّبتُ من التّوقيت، وتساءلت لماذا أسبوعان بالتحديد.. هل هذا هو عمرُ الحزن؟!، وظللتُ أعدّ الأيّام حتّى انتهى الأسبوعان، وإذا بخبر وفاة حمران يصلني ذلك اليوم.. حينها انتقلت من حزن إلى حزنٍ أكبر، وعرفتُ سرَّ الأسبوعين..

بعد ذلك رثى البردّونيّ صديقَه حمران بقصيدةٍ رائعةٍ ألقاها في مؤسّسة العفيف؛ غاصّاً بدموعه وهو يناجيه:

(يا صديقي لَبِّنِي.. أو نادِنِي لم يَعُدْ لي مَن أُلَبِّي أَو أُنادي)

ومن القصيدة نقتطف لكم:

إنّني يابـــــــــــنَ أبي متّحـــدٌ

بثرى مثـواكَ هل ترضى اتّحادي؟

يابن أرضي.. لم تغبْ عن صدرها

بلْ تحوّلتَ جـــــــذوراً لامتدادي

لِنَثِيثِ الصّمـــــــــتِ تُصغي، وأنا

في زحـــــامِ النّار أُصغي لاتّقادي

وبرغمي يصبـــــــح الغازي أخي

بعدما أضحى أخي أعدى الأعادي

كيف أمحـــــــــــو كلَّ هذا؟ دلِّني

لا تقلْ أرجـــوكَ دعني وانفرادي

ياصديقـــي أنت أدنـــــى مِن فمي

فلمـــــاذا أنت أنأى مِن مُرادي؟

أنت في البعـــــــد قريـــبٌ، وأنا

في غياب القربِ مثلي في ابتعادي

أنت في شـــــــبرين مِن وادٍ.. أنا

خلف حتفي هائـــمٌ في غيـــر وادِ

ياصديقـــــــــي لَبِّنِـــي أو نادني

لم يَعُـــــــدْ لي مَن أُلبِّي أو أُنادي

ذلـــــــك الـــودّ الّذي أوليتنـي

مثله عندي: فمن أُولِـــي وِدادي؟

يا صديقـــي أَســـــفَرَ اليومُ الّذي

كان يخفـــى، وتـراه نصـفَ بَـــادِ

كنتَ تُنْبِي عن حشـــــا الغيب كما

كان يُنبي ذلك القُـــــسُّ الإيادي

بعد أن متَّ، مضى المـــوت الّذي

كان عاديّـــاً ووافى غيـــرُ عادي

صار ســـــــوقاً، عملـــةً، مأدبةً

مكتباً، مســعىً يُســمّى بالحيادي

في التّراثيّــات دكتـــــوراً، وفي

غرفِ التّعذيب نفســـــــيّاً، ريادي

ويســـــمّى فتـــرةً ضيفَ الحمى

فترةً يُدعى: الخبيـــرَ الاقتصادي

يا صديقــي لا تقـــلْ: زعزعتني

قمْ وقلْ: يا قبرُ فلتصبِـــحْ جوادي

ذلك المـــــــــوتُ الّذي لاقيتَــهُ

مات يوماً، وابتــدا القتــلُ الإبادي

ومدى الرّعــب الّذي تذكـــــرهُ

عدَّدَ الأشـــواط، غالى في التّمادي

وأبي هادي أتدري لم يعـــــــد

أعزبــاً، قد زوَّجـــــــوهُ أُمَّ هادي

فارتقب ذريَّـــــــــةٌ ميمونـــةً

قبل أنْ تســتلطفَ العرسَ الحدادي

يا صديقي ما الّذي أحكي، ســدىً

تستزيد البوحَ، ما جدوى ازديادي؟

الشّـــظايا تحت جلدي، والكرى

خنجرٌ بين وســـــادي واتّسادي

أنت عند القبـــر ســـــاهٍ، وأنا

أحمــل الأجـــداث طرّاً في فؤادي

أتراني لم أجــرّب جيّـــــــــداً

صادروا خطــوي، وآفاق ارتيادي

مِن نفايـــاتِ عطاياهـــــمْ يدي

وجبيني، وبأيديهـــــــمْ عتـــادي

أنت غـــافٍ بين نوميـــــن، أنا

بين نابيَ حيَّـــةٍ وحـــشٍ رقادي

مُتَّ يومـــــاً ياصديقـــي، وأنا

كلَّ يومٍ والرّدى شُـــربي وزادي

أنت في قـــــــبرٍ وحيـــدٍ هادئٍ

أنا في قبريـــــن: جِلدي وبلادي

وكأني بصديق الشاعر المحسود على موته ينادي من أعماق جدثه: حتى على الموت لا أخلو من الحسدِ!

غزل في البرلمان السوري

بين العجيلي وبدوي الجبل

ولأن الأدب لم يكن يوماً مادة جافة بلا روح، ولأن الإمتاع أحد أهم أبرز ركائزه، نقص عليكم قصة المساجلة الشعرية الطريفة التي احتضنها المجلس النيابي السوري أواخر أربعينات القرن الماضي، أيام العز والديمقراطية.

القصة رواها الأديب الطبيب الراحل عبد السلام العجيلي، أحد أساطين الأدب في القرن العشرين، في الجزء الأول من كتابه "ذكريات أيام السياسة" الصادر في طبعته الأولى عام 2002.

أما أبطال قصتنا، فهم النائب في البرلمان الذي انتخب عام 1947 الشاعر بدوي الجبل، والنائب الشاعر عبد السلام العجيلي، ورئيس البرلمان آنذاك العلامة فارس الخوري.. انظروا من كان نوابَنا في ذلك الزمان ومن نوابنا اليوم؟!

يقول العجيلي: كنت أهمُّ في ظهر يوم ما لحضور "حلقة الزهراء" الأدبية التي كنت مواظباً على حضورها (وحلقة الزهراء هي حلقة أدبية شهيرة أسستها في دمشق منتصف الأربعينات ثريا الحافظ في بيت زهراء العابد زوجة محمد علي العابد أول رئيس لسوريا)، وقبل الحلقة زرت صديقي الشاعر الكبير بدوي الجبل في فندق أوريان بالاس، حيث كان موجوداً هناك لحضور الجلسة النيابية في ذلك اليوم، وهو أمين سر المجلس.. عرضت على بدوي الجبل مرافقتي إلى الحلقة، فأبى وتعلل بجلسة مجلس النواب، فلما ألحيت في طلبي، استجاب، على أن نغادر قبل انعقاد جلسة المجلس..

يصف العجيلي حلقة ذلك اليوم بالقول: حفلت الحلقة في تلك الأمسية، إلى جانب روادها من المثقفين والكتاب، بزمرة رائعة من السيدات والأوانس، تألقت بينهن صبية فاتنة الحسن رقيقة التهذيب، اسمها سلمى ع.. وبدا لي أن صديقي الشاعر لم يندم على نزوله على اقتراحي، بل إن جو الندوة راق له إلى درجة نسي فيها جلسة البرلمان! واحتجتُ أن أذكره بموعد الجلسة ومكانه الشاغر الذي ينتظره إلى جانب رئيسنا وأستاذنا فارس بك الخوري حتى يطاوعني ويغادر الحلقة.

في الجلسة النيابية، وبينما كان العجيلي في مقعده، جاء إليه أحد السعاة بورقة مطوية من أمين سر المجلس الذي كان مقعده إلى جانب الرئيس، يقول العجيلي: فضضت الورقة فإذا فيها بيت شعر واحد:

لا تبالي والخيرُ في أن تبالي

ألهجرٍ تصدُّ أم لدلالِ؟

ضحكت وأخفيت القصة عن زملائي الذي سألوني عن سر ضحكتي، وتناولت قلمي ورحت أجيبه:

لو تراها وأومضت مقلتاها

تسكب الشوق في ثنايا السؤالِ

أين لا أينَ شاعرٌ بدويٌّ

مُلهَم الروح عبقريُّ الخصالِ

قلت أودى بلبِّه يا سليمى

خافقٌ هام في فنون الجمالِ

كلنا في هواكِ صبٌّ عميدٌ

مثلُ بدوِ السهول بدوُ الجبالِ

وأعدت الورقة مع الساعي إلى المنصة وعيني عليه، وكذلك أعين زملائي، ولحظنا جميعاً كيف قرأ البدوي الورقة ومال بها إلى الرئيس يتلوها عليه، وكيف كان فارس الخوري يهز هامته الضخمة لتلك التلاوة، ولم يلبث الساعي أن عاد إليّ بورقة مطوية أخرى، فضضتها فإذا بها تحمل هذه الأبيات الرائعة:

ما لسلمى بعد المشيب ومالي

بدعة الحب صبوتي واكتهالي

إن حب الجمال أصبح عندي

بعد شيبي عبادةً للجمالِ

كلما لاح بارقٌ من سناهُ

جنّ قلبي وضلَّ أيَّ ضلالِ

وأنا الظامئ القنوع كفاني

عن ورود الغدير ومضةُ آلِ

أعشق الحسن نظرةً وحناناً

ورؤى حالمٍ وطيفَ خيالِ

وأحب الجمال يلهمني السحرَ

وأهواهُ مُشرباً بالدلالِ

يقول العجيلي: قرأت الورقة وطويتها واحتفظت بها لنفسي، غيرَ مشبعٍ فضول رفاقي ولا فضول الصحفيين الذين ظنوا الأوراق الذاهبة والآتية بيني وبين أمين سر المجلس مناورة سياسية، ولم أبح بسر الورقة رغم إلحاح الصحفيين بعد الجلسة، ولم أنشر سر هذه الأبيات التي نظمها نائبان من نواب الأمة قبل اليوم.

ولمن يسأل عن مصير سلمى، كي لا تبقى في القصة غصة، فسلمى تزوجت قريباً لأسرتها من العراق وسافرت إلى بلد بعيد.. وبقي لنا القصة عبقرية شاعرين من إرثنا السوري العظيم.

أيظنُّ

قصة أول قصيدة مغناة لنزار قباني

أيظنُّ أني لعبة بيديه؟
أنا لا أفكر في الرجوع إليهِ
اليوم عاد كأن شيئا لم يكن
وبراءة الأطفال في عينيه
ليقول لي إني رفيقة دربه
وبأنني الحب الوحيد لديه
حمل الزهور إلي .. كيف أرده
وصباي مرسوم على شفتيه
ما عدت أذكر، والحرائق في دمي
كيف التجأت أنا إلى زنديه
خبأت رأسي عنده، وكأنني
طفل أعادوه إلى أبويه
حتى فساتيني التي أهملتها
فرحت به، رقصت على قدميه
سامحته وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات على كتفيه
وبدون أن أدري تركت له يدي
لتنام كالعصفور بين يديه
ونسيت حقدي كله في لحظة
من قال إني قد حقدت عليه؟
كم قلت إني غير عائدة له
ورجعت .. ما أحلى الرجوع إليهِ..

قصيدة أيظنُّ، رائعة نزار قباني التي غنتها نجاة الصغيرة من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب.. هي أول قصيدة مغناة لنزار قباني.

وللقصيدة قصة فريدة، وتأويل سياسي كذلك، أما القصة فترويها نجاة الصغيرة بالقول إنها تلقت القصيدة في رسالة وصلتها من نزار قباني، وأضافت في لقاء صحفي عام 1966: "أحسست أن هناك كنزاً بين كلمات هذه القصيدة، ولكن العثور عليه كان يتطلب صعوبة كبيرة"، عرضت نجاة القصيدة على الموسيقار كمال الطويل تسأله عنها وعن إمكانية تلحينها، فأجاب مُستغرباً: "إيه ده!"، ومثله فعل الملحن محمد الموجي، رافضين تلحينها.

تضيف نجاة، بحسب الصحافي السوري شمس الدين العجلاني: "شعرت بأن الموضوع لن يتم، وقررت أن أرسل القصيدة للنشر في إحدى الصحف المصرية، تكريماً لصاحبها الذي أرسلها لي وخصني بها"، وبعد نشرها فوجئت بعبد الوهاب يتصل بي ويقرأ لي القصيدة من الصحيفة، مستفسراً إن كنت أنا من أرسلتها للنشر.. ولما قلت نعم، طلب مني أن أقابله بعد ساعتين كي أستـمع إلى لحن الأغنية.

وبعد ساعتين ذهبت وكان اللحن جاهزاً، وخرجت الأغنية إلى النور عام 1960 وحققت حضوراً جماهيرياً كاسحاً.

وعندما بُثت الأغنية للمرة الأولى كان نزار قباني يعمل دبلوماسياً في السفارة السورية ببكين، ولم يسمع الأغنية، فغضب بشدة من أن تخرج أولى قصائده المُغنّاة إلى النور دون أن يسمعها أو يكون قريباً، وأرسل رسالة عتاب لنجاة جاء فيها: "أيتها الصديقة الغالية... لا أزال في آخر الدنيا.. أنتظر الشريط الذي يحمل أغنيتنا.. (أيظن) تعيش في الصحف.. في السهرات، وعلى شفاه الأدباء.. وفي كل زاوية في الأرض العربية.. وأبقى أنا محروماً من الأحرف التي أكلت أعصابي.. يا لكِ من أمٍ قاسية يا نجاة.. أريتِ المولود الجميل لكل إنسان، وتغنيت بجماله في كل مكان.. وتركتِ أباه يشرب الشاي في بكين، ويحلم بطفلٍ أزرق العينين يعيش مع أمه في القاهرة.. لا تضحكي يا نجاة إذا طلبتُ ممارسة أبوتي، فأنا لا يمكن أن أقنع بتلقّي رسائل التهنئة بالمولود دون أن أراه..

فانهضي حالًا لدى وصول رسالتي، وضعي المولود في طرد بريد صغير.. هنا كنتِ أماً عن حقٍ وحقيق، أما إذا تمردتِ فسأطلبك إلى بيت الطاعة رغم معرفتي بأنكِ تكرهينه".

تلك قصة الأغنية المعروفة، ومن خفاياها أن نجاة كانت مرتبطة بعقد احتكار مع شركة كايروفون التي يملكها محمد فوزي، في حين أن شركة صوت الفن التي كان محمد عبد الوهاب أحد مؤسسيها تحتكر توزيع أي لحن لعبد الوهاب، وعندما لحن عبد الوهاب هذه القصيدة، استأذنت نجاة محمد فوزي في غناء هذه الأغنية والسماح لشركة صوت الفن بتوزيعها، فوافق على ذلك.

أما الخلفية السياسية للأغنية فتقول إن محمد عبد الوهاب لم يختر تلك القصيدة عبثاً، وإنما بتوصية سياسية من الزعيم جمال عبد الناصر آنذاك، إذ أراد إنتاج أعمال فنية مشتركة تعزز حالة الوحدة ما بين سوريا ومصر في تلك الفترة (1958- 1961)، فاختار عبد الوهاب قصيدة لشاعر سوري ومطربة مصرية من أصل سوري وبتلحين موسيقار الأجيال المصري.

أيام الديمقراطية..

قصيدة باسم مستعار تحرج نائباً في البرلمان السوري

في العام 1948 تأسست جماعة أدبية ساخرة في سوريا، ينشر أعضاؤها قصائدهم ومقالاتهم الساخرة في الصحف والمجلات آنذاك بأسماء مستعارة، وكان من أهم أعضاء تلك العصبة الأب المؤسس للأدب الساخر في سوريا حسيب كيالي، والأديب الطبيب عبد السلام العجيلي.. وفي ذلك العام 1948 كان العجيلي نائباً في البرلمان السوري عن محافظة الرقة.. ويحكي العجيلي في كتابه "ذكريات أيام السياسة"، قصة قصيدة التصقت به وأحرجته، ويدلنا على صاحبها الحقيقي الذي هو من آباء عصبة الساخرين، يقول:

نشرت مجلة الدنيا في عددها الصادر في تشرين الثاني 1948 في صفحتها الأولى مقالاً لي موقعاً باسمي الصريح، بعنوان "فضيلتي التي أبغضها"، وكان موقعاً باسمي الصريح وصفتي كنائب في البرلمان، إضافة إلى صفتي عضواً في عصبة الساخرين، وفي وسط الصفحة نفسها وضمن مربع صغير، نشرت قصيدة ساخرة موقعة باسم "ما غيره" ومضافاً إليها: عضو عصبة الساخرين.. ونص القصيدة:

أيها النائب الشهم الذي يدعى فلانا

لا أسميكَ، فقد أُحكمُ بالسجن زمانا

هات أخبرني: لماذا حين تأتي البرلمانا

يرتخي الرأس على الصدر وتغفو يا أخانا؟

قال: هذا مبدأ يبعث في النفس الأمانا

نحن حزبٌ نملأ الجو شخيراً، والمكانا

لا نبالي إن أتانا زيدُ أو عمروُ أتانا

قلت: هل أنتم كثيرٌ يا عظيماً جلَّ شانا

قال إخرس، إننا نحن خلقنا البرلمانا

ويرد العجيلي القصيدة إلى صاحبها الذي يعرفه تماماً وهو الشاعر والقاص والأديب الساخر حسيب كيالي، إلا أن القرّاء والمسؤولين ظنوها للعجيلي، وألصوقوها به، ولم يصدقوا أنها لغيره، رغم توضيحاته..

يقول العجيلي، أذكر أن وزير الداخلية آنذاك، الدكتور محسن البرازي، قال لي ممازحاً: قرأت قصيدتك عن نواب حزب الأكثرية، وأظنك تعني زميلك فلاناً، فقلت له: القصيدة ليست لي بل لزميلي حسيب كيالي من عصبة الساخرين، وهي تصور حال المجلس

عموماً لا حال واحدٍ بعينه.. فابتسم الدكتور البرازي وودعني وهو غير مقتنع بما قلته عن براءتي من تلك الأبيات..

طبعاً انتهى الأمر عند دعابة وزير الداخلية، ولم يُساءل أو يُحاسَب أحد على تلك السخرية.. ولو لم يحكِ لنا عبد السلام العجيلي القصة، لربما بقيت القصيدة منسوبة إلى غير صاحبها، وهذا حال كثير من قصائدنا ومأثوراتنا التي لم تجد شاهداً أو محققاً.

قصة

كلامُ الليل يمحوه النهارُ

ما قِصة البيت الشهير "كلام الليل يمحوه النهار" الذي جرى مثلاً بين الناس إلى يومنا هذا.. كتب كثيرة نقلت خبر البيت برواية واحدة مع اختلاف البطل، فهو إما هارون الرشيد أو ابنه الأمين.. وفق كتب العقد الفريد لابن عبد ربه، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة، ونوادر أبي نواس ونوادر الخلفاء للإتليدي وغيرها من كتب التراث التي نقلت إلينا القصة الآتية:

بينما الرشيد أو ابنه الأمين في رواية آخرى، يطوفُ في قصرٍ له إذ مر بجاريةٍ له سكرى وهي تسحبُ أذيالها من التيهِ فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين إنك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علمٌ بموافاتك، فانظرني الليلة حتى أتهيأ للقياكَ وآتيك في غدٍ.

فلما أصبح انتظرها فلم تأتِ فقام ودخل عليها وسألها إنجاز الوعد. فقالت: يا أمير المؤمنين: أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار، فخرج وكان بالباب من الشعراء مصعب والرقاشي وأبو نواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال: ليقل كل واحد منكم شعراً يكون آخره "كلام الليل يمحوه النهار".

فأنشأ الرقاشي يقول:

متى تَصحُو وقلبُكَ مُستطارُ

وقد مُنعَ القَرارُ فلا قَرارُ

وقد تَرَكَتكَ صَبًّا مُستهاماً

فتاةٌ لا تَزورُ ولا تُزارُ

إذا استنجزتَ منها الوعدَ قالت:

كلامُ الليلِ يَمحوهُ النهارُ

وقال مصعب:

أَتعذلني وقلبي مُستطارُ

كئيبٌ لا يَقرُّ لَهُ قَرارُ

بِحبّ مليحةٍ صادت فؤادي

بأَلحاظٍ يخالطُها احورارُ

ولما أَن مددتُ يَدي إليها

لألمسَها بدا منها نِفارُ

فقلتُ لها عِديني منكِ وعداً

فقالت في غدٍ منكَ المزَارُ

فلما جئتُ مُقتضياً أَجابت

كلامُ الليلِ يمحوهُ النهارُ

وقال أبو نواس:

وَخُودٍ أَقبلَتْ في القَصرِ سَكرى

ولكن زَيَّنَ السُّكرَ الوَقارُ

وقد سَقَطَ الرِّدا عن منكبيها

من التَّجميشِ وانحَلَّ الإزارُ

وهزّ الريحُ أردافاً ثِقالاً

وغصناً فيهِ رمانٌ صِغارُ

هممتُ بها وكانَ الليلُ ستراً

فقامَ لها على المعنى اعتذارُ

وقالت في غدٍ فمضيت حتى

أتى الوقت الذي فيه المزارُ

وقلتُ: الوَعدَ سيدتي، فقالت:

كلامُ الليلِ يَمحُوهُ النَّهارُ

فقال له الخليفة: ويلك كأنك كنتَ معنا أو مطلعاً علينا!.. وبالطبع تنتهي القصة كما تنتهي كل تلك القصص بأن يعطي الخليفة كل شاعر صرة من الدنانير.

القصة تتشابه أحداثها وروايتها في كل كتب التراث، ولكن الأبيات تختلف من كتاب إلى آخر، فتزيد وتنقص، ويصعب التأكد من حقيقتها، نظراً لما دخل على عصر هارون الرشيد وابنيه الأمين والمأمون من القصص والحكايات الخيالية، حتى إنهم شكلوا مادة رئيسة في كتاب ألف ليلة وليلة، كما أن القصة واردة كما رويناها في ديوان أبي نواس

الذي وضعه محمود كامل فريد وطُبع عام 1937 ولكنه ليس محققاً وفيه الكثير من نوادر أبي نواس التي تشبه الحواديت.

لص في منزل الشاعر عبد الله البرودني

هذه المرة لسنا بحاجة إلى حكاية، فالقصيدة تحكيها لنا، وبأسلوب ساخر مُرّ على مبدأ مقلوب البكاء، يقص علينا شاعر اليمن الأكبر عبد الله البردوني، قصة اللص الحقيقي أو الافتراضي الذي أخطأ ودخل بيته، فماذا وجد اللص في منزل الشاعر عبد الله البرودي:

شكراً دخلتَ بلا إثارة
وبلا طفورٍ أو غرارة
لما أغرتَ خلقتَ في رجليك
ضوضاءَ الإغارة
لم تسلبِ الطينَ السكونَ
ولم ترع نوم الحجارة
كالطيف جئت بلا خطىً
وبلا صدى وبلا إشارة
أرأيتَ هذا البيت قزماً
لا يكلفك المهارة
فأتيته ترجو المغانم
وهو أعرى من مغارة
ماذا وجدتَ سوى الفراغ
وهرةً تشتمُّ فارة
ولهاثَ صعلوك الحروف
يصوغُ من دمه العبارة
يطفي التوقد باللظى
ينسى المرارة بالمرارة

لم يُبقِ في كوب الأسى
شيئاً.. حساه إلى القرارة
ماذا أتلقى عند صعلوك البيوت
غنى الإمارة
يا لص عفواً إن رجعت
بدون ربح أو خسارة
لم تلق إلاّ خيبةً
ونسيتَ صندوق السجارة
شكراً أتنوي أن تشرفنا
بتكرار الزيارة؟

القصيدة نُشرت عام 1966 في ديوان مدينة الغد، وفيها ما فيها من الرسائل السياسية والثقافية والاجتماعية، أما بيت الشاعر الكبير عبد الله البرودني الذي دخله ذلك اللص، فلم يتحول إلى متحف كما كان مأمولاً، وكما وعدت وزارة الثقافة اليمنية، فالمنزل هدمته الأمطار والسيول عام 2020 بعدما ظل مهجوراً ومهملاً منذ وفاة الشاعر عام 1999.

بيت لمنصور الرحباني بديوان شعر لأبي ريشة!

لملمْتُ ذكرى لقاءِ الأمس بالهُدُبِ ورحْتُ أحضنُها في الخافق التَّعِبِ

أيدٍ تُلوِّحُ من غيبٍ وتغمُرُني بالدفءِ والضوء، بالأقمارِ والشُّهب

ما للعصافيرِ تدنو ثم تسألني: أهملتِ شعرَكِ، راحَتْ عُقدةُ القصب

رُفوفُها وبريقٌ في تلَفُّتها تثيرُ بي نحوَها بعضًا من العَتَب

حيْرَى أنا يا أنا، والعينُ شاردةٌ أبكي وأضحكُ في سِرِّي بلا سبب

أهواهُ؟ مَنْ قال؟ إني ما ابتسمَتُ له دَنا، فعانَقَني شوقٌ إلى الهرَب

نسيتُ مِن يدِه أن أستردَّ يدي طال السلامُ وطالَتْ رفَّةُ الهُدُب

حيرَى أنا، يا أنا، أنهَدُّ مُتعبةً خلف الستائرِ في إعياءِ مُرتَقب

أهْوَ الهوى؟ يا هلا إن كان زائرَنا يا عطرُ، خيِّمْ على الشُّبّاك وانسكِب

درة الرحابنة تلك، التي حلق بها صوت فيروز وأسكنها في مكان قصي من فضاءات الخلود، وكلما دست عاشقة يدها في كف حبيبها، وغابا عن العالم في سديم الشوق.. تنشق غيمة صيفية بيضاء عن مطر ممزوج بالموسيقى: وصوتٍ خجول يهمس:

نسيتُ من يده أن أسترد يدي

طاااال السلام وطالت رفة الهُدُبِ

هذا البيت السحري، من رائعة منصور الرحباني (لملمت ذكرى لقاء الأمس)، تمنى شاعر سوريا الأكبر وأحد أكبر شعراء العرب في القرن العشرين، عمر أبو ريشة، لو أنه كان له..

ففي لقاء جمع بين الشاعرين عمر أبو ريشة ومنصور رحباني، أخذ منصور يمجد ويثني على شعر أبو ريشة وتميزه والمكانة التي يحتلها في صدارة الشعر العربي، ويردد بعض الأبيات التي يحفظها له، فباغته أبو ريشة بقول صادم: "هل تعطيني بيتاً من شعرك وأعطيك مقابله ديواناً من شعري".. فذُهل منصور وسألع ما هو البيت؟ ليرد أبو ريشة مترنماً:

نسيتُ مِن يدِه أن أستردَّ يدي طال السلامُ وطالَتْ رفَّةُ الهُدُب

الرواية لا شك في صحتها ومضمونها، وقد أكدها منصور الرحباني نفسه في لقاء قال فيه: "من أكثر اللحظات تأثراً في حياتي: يوم انتهى عرض أحد مهرجانات معرض دمشق الدولي. جاء عمر أبو ريشة يهنّئنا، عاصي وأنا، فقال: خذا كل شعري وأعطياني

قصيدتكما "لملمت ذكرى لقاء الأمس بالهدب"، وخاصة البيت الذي يقول: نسيت من يده أن أستردّ يدي/ طال السلام وطالت رفة الهدب".

قصة القصيدة لم تنتهِ هنا، ولأن الدر يكثر سُراقه أو الراغبون فيه، فقد كتب الصحفي طوني حداد مقالة بعنوان "فيروز والسيد الشيعي" نسب فيها قصيدتين من روائع فيروز إلى الشيخ النجفي علي محمد جواد بدر الدين، وزاد الصحفي أن الشيخ الشاعر التقى عاصي الرحباني بترتيب من أحد الأصدقاء، وباعه أكثر من قصيدة لقاء ثلاثين ليرة لبنانية في القصيدة الواحدة... ويضف: خرج إلى النور بتلحين الأخوين رحباني وبصوت السيدة فيروز الأسطوري ودون ذكر الشاعر قصيدتان من تأليف هذا الشاعر: الأولى هي "لملمت ذكرى لقاء الأمس"، والثانية هي "أنا يا عصفورة الشجن".

الكاتب محمود الزيباوي تتبع هذه القضية، ونفى الادعاء نفياً قطعياً بدليل لا يقبل الشك، يقول محمود الزيباوي في مقال منشور في صحيفة المدن بتاريخ 26-11-2016 بعنوان "مَن يسرق من؟": "تسقط هذه الرواية بسرعة عند ذكر تاريخ الأغنيتين المذكورتين. فقد غنت فيروز لأول مرة "لملمت ذكرى" في العام 1953 أيام "محطة الشرق الأدنى" ضمن لوحة غنائية رحبانية هي "حلوة الموطن"، وكان علي محمد جواد بدر الدين يومها في الرابعة من عمره، ثم أعادت تسجيلها بشكل مستقل العام 1956 لصالح "الشركة اللبنانية للتسجيلات الفنية" في العام التالي، وصدرت في أسطوانة العام 1957. أما قصيدة "أنا يا عصفورة الشجن" فقد سجلت مع مجموعة من القصائد في منتصف الستينات لحساب الإذاعة الكويتية، يوم كان محمد جواد بدر الدين في الخامسة عشرة من عمره، والقصيدتان منشورتان في ديوان "قصائد مغناة" الذي نشره منصور الرحباني عام 2007 قبل رحيله مطلع 2009.

وكلما ذكرنا هذه القصيدة سنقول: يا عطر خيّم على الشباك وانسكبِ

من عيون أدب السجن

القصيدة النونية للقرضاوي

القصيدة النونية، أو المحلمة النونية للمفكر الإسلامي الراحل الدكتور يوسف القرضاوي:

ثار القريض بخاطري فدعوني

أفضي لكم بفجائعي وشجوني

فالشعر دمعي حين يعصرني الأسى

والشعر عودي يوم عزف لحوني

كم قال صحبي أين غر قصائدي

تشجي القلوب بلحنها المحزون

وتخلّد الذكرى الأليمة للورى

تتلى على الأجيال بعد قرون

ما حيلتي والشعر فيض خواطرٍ

ما دمت أبغيه ولا يبغيني؟

واليوم عاودني الملاك فهزني

طرباً إلى الإنشاد والتلحين

ألهمتها عصماء تنبع من دمي

ويمدها قلبي وماء عيوني

نونيةً والنون تحلو في فمي

أبداً فكدت يقال لي ذو النونِ

صورتُ فيها ما استطعت بريشتي

وتركت للأيام ما يعييني

أحداث عهد عصابةٍ حكموا بني

مصر بلا خلقٍ ولا قانون

أنست مظالمهم مظالم من خلوا

حتى ترحمنا على نيرون

حسبوا الزمان أصمّ أعمى عنهم

قد نوّموه بخطبةٍ وطنين

ويراعة التاريخ تسخر منهمو

وتقوم بالتسجيل والتدوين

وكفى بربك للخليقة محصياً

في لوحه وكتابه المكنونِ

هذه مقدمة القصيدة التي زادت عن ثلاثمة بيت، وهي من أكثر ما شاع بين الناس من شعر السجون، وقد حدثنا الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي عن قصتها في مذكراته، فقال إنها أنشأت أواخر سنة (1955م)، لوصف ويلات السجن الحربي أيام حكم جمال عبد الناصر، وللأسف لم أكتبها خوفاً من المباحث، وكنت معتمدًا على الذاكرة في حفظها.

مرت عشر سنوات ولم أكتب القصيدة، فنسيت الكثير منها، ولم يعد ما أحفظه منها مترابطًا، وهنا كان عليَّ أن أبحث عن الإخوة الذين كانوا يحفظون القصيدة ممن كانوا

معي في السجن الحربي، ومنهم أخوان كريمان من إخوان طنطا، وهما: سعد زين العابدين سلامة، أصغر طالب كان في السجن الحربي، وكان في الشهادة الثانوية، وزميله فؤاد قنديل، وكان في السنة الأولى في كلية الصيدلة، وكان مشهورًا بقوة الذاكرة.. وقد علمت أن كلًّا منهما - سعدًا وفؤادًا - قد غادرا مصر منذ سنوات إلى ألمانيا، واستقرا فيها، وبالسؤال والبحث عرفت عنوان الأخ سعد وطلبت إليه أن يرسل إليَّ كل ما يحفظه من النونية، ويستعين بالأخ فؤاد، وكل من يعرف من نزلاء السجن الحربي.

وكان سعد عند العهد به، فراسل إخوانه وهاتفهم هنا وهناك، وبعث إليَّ بنحو مائة وتسعين بيتًا من القصيدة. وهي أكثر من ثلاثمائة في الأصل، وبإضافتها إلى ما أحفظه مما لم يرسلوه إليَّ أمكن إعادة بناء القصيدة أو الملحمة، ولكن بقيت فيها فجوات اجتهدت أن أملأها بما يفيض به الخاطر، وإن لم يكن - غالبًا - في قوة الأصل الذي ظهر في السجن متدفقًا كالسيل، سلسًا عذبًا كالماء الزلال.

واكتملت القصيدة في نحو ثلاثمائة بيت، وقدمت لها، وعلقت عليها بما يفي بالمقصود من نشرها. وإن تبين لي بعد ذلك أن بعض الإخوة من زملائنا في السجن الحربي، يحفظ منها أبياتًا لم تودع في القصيدة، وأذكر أني كنت ليلة في الإسكندرية، وقام الأستاذ محمد عبد المنعم وألقى كلمة ضمَّنها أبياتًا كثيرة من النونية مما لم يوجد فيما نشرته منها.

وقد أرسلت ما جمعته إلى المتخصصين، وراجعها عدد من الإخوان الشعراء، مثل: الأستاذ محمد المجذوب الأديب السوري الشاعر الداعية، وقد حوروا أشياء قليلة منها، فمثلاً أنا أقول:

يا رب خلصنا من ابنَيْ سالمٍ ومن ابن عبد الناصر المفتون!

فرأى الإخوة تغيير البيت إلى:

يا رب خلص مصر من أعدائها وأعن على طاغوتها الملعون

وقد نشرت القصيدة ضمن كتاب اختار له الإخوة عنوانًا، وهو: "نافذة على الجحيم"، يقصدون: جحيم السجن الحربي، وما احتوى من عذاب وأهوال جسام، ونشروا القصيدة تحت عنوان: "مشاهد من الجحيم".

بيرم التونسي والمجلس البلدي

فوجئ الشاعر بيرم التونسي في أحد الأيام بالمجلس البلدي في الإسكندرية، وهو يحجز على بيته الجديد، ويطالبه بمبلغ كبير كعوائد عن سنوات لا يعلم عنها شيئًا.
ولم يكن شاعرنا يعرف أن حجز البلدية على بيته الجديد، سيكون خطوة في اكتشاف موهبته الدفينة، وأول طريق الشهرة.
إذ دفعه القرار لرفع راية العصيان ضد المجلس البلدي بقصيدة عنوانها "سي المجلس البلدي"..
لتنتشر القصيدة في ربوع الإسكندرية ويرددها الجميع في مصر والأقطار العربية لاحقاً.
وعندما ذاع صيت بيرم، أصدر جريدة اسمها "المسلة" يحررها بالكامل بنفسه، وطبع من أول عدد خمسة آلاف نسخة، ونزل بيرم في يوم 4 مايو 1919، ليوزعها بنفسه، وكتب على الغلاف بقلم محمود بيرم التونسي صاحب قصيدة المجلس البلدي.
وصار بيرم من أهم شعراء العامية في مصر والعالم العربي، وكان أحمد شوقي يقول: لا أخاف على الفصحى إلا من عامية بيرم التونسي!..
عاش بيرم حياة الصعاليك، ونفاه الإنكليز، وعندما عاد لم يحصل على جنسية مصر إلا عام 1960 قبل عام واحد من وفاته، وهو الذي ولد وعاش حياته كلها في مصر، ومعروف أنه كتب لأم كلثوم بعضاً من أجمل أغانيها، وشكل مع الشيخ زكريا أحمد ثنائياً فنياً عبقرياً.

قصيدة "سي المجلس البلدي"

قد أوقعَ القلبَ في الأشجانِ والكَمَدِ
هوى حبيبٍ يُسَمّى المجلس البلدي
أمشي وأكتمُ أنفاسي مخافة أنْ
يعدّها عاملٌ للمجلسِ البلدي
ما شَرَّدَ النومَ عن جفني القريحِ سوى
طيف الخيالِ خيال المجلسِ البلدي
إذا الرغيفُ أتى، فالنصف آكُلُهُ
والنصفُ أتركُه للمجلس البلدي
وإن جلستُ فجَيْبِي لستُ أتركُهُ
خوفَ اللصوصِ وخوفَ المجلسِ البلدي
وما كسوتُ عيالي في الشتاءِ ولا
في الصيفِ إلاَّ كسوتُ المجلسَ البلدي
كَأنَّ أُمّي أبَلَّ اللهُ تُربتها
أوصَتْ فقالت: أخوك المجلس البلدي
أخشى الزواجَ إذا يوم الزفافِ أتى
أن يَنْبَرِي لعروسي المجلسُ البلدي
ورُبَّمَا وَهَبَ الرحمنُ لي ولداً
في بَطْنِها يَدَّعيه المجلس البلدي
وإنْ أقمتُ صلاتي قلتُ مُفتتحاً
اللهُ أكبرُ باسم المجلس البلدي
أستغفرُ الله حتى في الصلاةِ غَدَتْ
عِبادتي نصفُها للمجلس البلدي
يا بائعَ الفجلِ بالمِلِّيمِ واحدةً
كم للعيالِ وكم للمجلسِ البلدي؟

آراء نزار قباني في أشهر شعراء عصره

في ختام هذا الباب، نورد آراء الناقد المشاكس نزار قباني في شعراء عصره، فقد كان لنزار قباني آراء جريئة بالشعراء الذين عاصرهم، بعضها واضح ومباشر وصادم، جمعها من أعماله الكاملة وحققها الشاعر والناقد د. حكمة شافي الأسعد، يقول نزار:

- نازك الملائكة: "دورها في الحداثة متواضع جداً، والغداء أو العشاء معها ليس امتيازاً أو بطاقة لدخول الجنة، ولا سيما بعد أن كسرت طبلة التجديد ودخلت سلك الدروشة".

- يوسف الخال: "بطريرك الحداثة في الخمسينات، و(الدينامو) الذي كان وراء اشتعال أكثر الكواكب الشعرية، ليس لديه ادعاءات شعرية عريضة، وأهم قصيدة كتبها في حياته هي (مجلة شعر)".

- أدونيس: "شاعر كثير المهاترات، باع نار القلب واشترى حجر الفلاسفة، كتب نصاً شعرياً لم يُكتَب من قبل، ولكنه رغم كثرة مقلّديه ظل بلا تركة ولا ورثاء. هاجر منذ زمن من سواحله الأولى المفروشة بالعشب والطفولة وقواقع البحر، واختار السباحة حيث لا يسبح الآخرون.

لو كان أدونيس يكتب للشعب البريطاني أو للشعب الفرنسي لكان الأمر طبيعياً.. ولكنه يكتب لعالمٍ عربي لا يزال في منتصف الطريق بين الثقافة والأمية، بين النهار وبين الليل، بين الوعي واللاعي.. أدونيس مثلاً شاعر يتقن فن العلاقات العامة، فهو لا يتوقف عن الحركة في خدمة شعره، فمن بيروت إلى باريس إلى لندن إلى موسكو إلى واشنطن، إلى أي مكان يرى أن وجوده فيه ضروري. ولو أن أدونيس كان أقل حركة لما كانت له هذه الأهمية".

- أنسي الحاج: "كان اللاعب الرئيسي الذي دخل ملعب الحداثة في الخمسينات، وحصد كل الميداليات الذهبية، أبو قصيدة النثر بغير منازع، وهو الذي وضع مع محمد الماغوط الحجر الأول في بناية هذه القصيدة".

ـ خليل حاوي: "المحتوى القومي العربي الوحدوي في شعره هو الذي كرّسه، ولم يلعب ورقة شعرية جديدة على طاولة الحداثة".

ـ عبد الوهاب البياتي: "هو (حكواتي) الشعر العربي، والواشي الكبير، والمرأة المطلّقة، وابن آوى الذي يهاجم في الليل أعشاش الشعراء، ويسرق بيضهم، ويخنق فراخهم.

توقف عن قراءة الشعر وكتابته منذ عشرين عاماً، وأصبح عانساً، وعاقراً، وتفرّغ ليشوي زملاءه الشعراء على نار نفسه المريضة. لو كنتُ مسؤولاً لحاكمته بتهمة رمي الزبالة في الحدائق العامة".

- مظفر النواب: "هذا الكربلائي الحنجرة، الشفّاف كدمعة فاطمة الزهراء، استطاع هو الآخر أن يكتشف مفتاح الحزن العربي، ويقرع أجراس الثورة والغضب في ليل المدن العربية النائمة".

ـ محمود درويش (عن دور القضية الفلسطينية في شهرته): "محمود درويش ليس شاعر (المناسبة) الفلسطينية، ولكنه فلسطين كلها، بزيتونها وكروم عنبها وبحرها وبيارات برتقالها... محمود أعطى القضية الفلسطينية أكثر ممّا أعطته، ونشرها على كل كوكب.. ولأنه شاعر كبير وموهوب فقد كبرت القضية الفلسطينية على يديه، في حين صغرت على يدي غيره... إذن فالقضية الفلسطينية وحدها - على أهميتها وقداستها ـ لا تكفي لإطلاق شاعر تنقصه الموهبة... محمود درويش صنعته موهبته وحدها ولم يصنعه أحد".

أما أكثر آرائه الغريبة والقاسية فكانت عن السياب، يقول: "كان رحمه الله مستعداً للوقوع في غرام أية ذبابة تدخل من نافذة معهد المعلمين العالي في بغداد، لذلك إذا كتب قصيدة غزل لفلانة أو لعلتانة من زميلاته في المعهد فإن ذلك يعتبر بالنسبة لبدر جزءاً من سعاله اليومي".

ويضيف: "أخذ حجماً مبالغاً فيه على خارطة الحداثة، فشعره الأول مدرسي وتقليدي كشعر الرصافي والزهاوي، ولكن اتصاله بالحداثة اللبنانية وبجماعة مجلة (شعر) فتح أمامه الأبواب، فغيّر بسرعة ملابسه القديمة ونزل إلى الملعب وفي يديه (أنشودة المطر). وربما كان مرضه الطويل وميتته المأساوية سبباً في التعاطف معه وتسليط أضواء النقد على أعماله"!..

محكيّات

سخرية من "ضيف مصر الكبير"

فاليري جيسكار ديستان

والستّ بتاعه كمان

حيجيب الديب من ديله

ويشبَّع كل جعان

يا سلاملم يا جدعان

ع الناس الجنتلمان

داحنا حنتمنجه واصل

وحتبقى العيشه جنان

التليفزيون حيلوّن

والجمعيات تتكوّن

والعربيات حتموّن

بدل البنزين بارفان

وحتحصل نهضه عظيمه

وحتبقى علينا القيمه

في المرسح أو في السيما

أو ف جنينة الحيوان

وحتبقى الأشيا زلابيه

ولا حوجه لسوريا وليبيا

وحنعمل وحده أرابيا

مع لندن والفاتيكان

والفقرا حياكلوا بطاطا

وحيمشوا بكل ألاطه

وبدال ما يسمُّوا شلاطه

حيسمّوا عيالهم جان

ودا كلو بفضل صديكي

ديستان الرومانتيكي

ولا حدّش فيكو شريكي

في المسكن والسكان

بهذه القصيدة الساخرة رحب أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام بالرئيس الفرنسي جيسكار ديستان عندما زار مصر عام 1975.. ولكن لماذا السخرية من الضيف الكبير؟
في عام 1974 كان الاقتصاد المصري على حافة الانهيار، وقال الرئيس أنور السادات حينئذ إن الاقتصاد المصري بلغ درجة الصفر، متعللاً بأسباب غريبة تبرئ ساحته من

الكارثة.
وفي العام 1975 أطلق السادات خطة الانفتاح الاقتصادي، وبدأ يجول أصقاع الأرض بحثاً عن معين، وشهدت تلك السنة والسنة التي تلتها، جولات متعاقبة للرئيس السادات وأعضاء حكومته إلى دول الخليج يطلبون فيها زيادة حجم المعونات العربية المقدمة لمصر، ولكن من دون طائل.
فما كان من الإعلام آنذاك إلا أن لجأ إلى الإيهام والتعمية على الوضع، كعادة الإعلام العربي الرسمي، فصور زيارة قام بها الرئيس الفرنسي آنذاك، فاليري جيسكار ديستان، إلى مصر، في 16 ديسمبر 1975 بأنها طاقة الفرج التي فُتحت لمصر، ولن تُغلق إلا وقد حُلت كل مشاكل المصريين، وأوهمت الحكومة والإعلام الناس أن تلك الزيارة ستغير شكل مصر اقتصادياً، وسيعم الخير على المصريين، وسيختفي الفقر والفقراء، وتنشط الحركة السياحية والتبادل الطلابي، إلا أن شيئاً من هذا لم يكن، ولعل الرد الأقوى على تلك الأوهام جاء من شاعر الشعب أحمد فؤاد نجم، الذي كتب قصيدة عن الزيارة بعنوان "هيجيب الديب من ديله"، سخر فيها مما روجته الحكومة ووسائل الإعلام الرسمية، لتخلد القصيدة طويلاً في وجدان الشعب المصري، خصوصاً وأن الشريك الفني لنجم، الفنان الشيخ إمام قد لحن القصيدة وغناها بأسلوب ساخر محبب.. فذهبت الزيارة وأوهامها وبقيت القصيدة، تؤرخ للوعي وقدرة السخرية على ترميم الخيبات.

وحدن

أسطورة طلال حيدر المطرزة بصوت فيروز

وحدن بيبقوا متل زهر البيلسان

وحدهن بيقطفوا وراق الزمان

بيسكرّوا الغابي

بيضلهن متل الشتي يدقوا على بوابي

يا زمان

يا عشب داشر فوق هالحيطان

ضوّيت ورد الليل ع كتابي

برج الحمام مسوَّر وعالي

هجَّ الحمام بقيت لحالي.. لحالي

يا ناطرين التلج ما عاد بدكن ترجعوا

صرِّخ عليهن بالشتي يا ديب بلكي بيسمعوا

وحدن بيبقوا متل هالغيم العتيق

وحدهن وجوهن وعتم الطريق

عم يقطعوا الغابي

وبإيدهن متل الشتي يدقوا البكي وهني على بوابي

رائعة طلال حيدر التي شدت بها فيروز عام 1979، قصيدة صارت أسطورة، وساهم الشاعر نفسه في أسطرتها..
إذا عدتم إلى مناسبة القصيدة ستجدون قصة كفاح ونضال ومقاومة نُسجت حولها، إذ تقول الرواية إن الشاعر كان يرى ثلاثة شبان يدخلون الغابة المقابلة لبيته صباحاً ويخرجون منها مساء، وكانوا يسلمون عليه وهو يشرب قهوته على شرفة بيته... ويوماً ما مروا صباحاً كعادتهم، سلموا عليه ودخلوا الغابة، ولكنهم لم يخرجوا منها مساء، ولا بعد المساء.. وعند الصباح قرأ الشاعر الخبر: الشبان الثلاثة نفذوا عملية فدائية في مستوطنة إسرائيلية، كان ذلك عام 1974 فكتب لهم طلال حيدر قصيدة "وحدن".

بعض الروايات التي صارت تظهر تباعاً حددت أسماء الشبان الثلاثة، وبعضها قال إنهم مجهولون، واستمرت الرواية حتى بعد نفيها من قبل الشاعر نفسه، فقد قال طلال حيدر عام2010 للصحفي شوقي شمعون: كتبت "وحدن" لابن البقاع، اللي بيبقى قاعد لحاله بالليل، وما بسمع شي غير صوت الديب والريح..
لكن القصة لم تنته بنفي الشاعر للأسطورة المنسوجة حول القصيدة، فقد عاد هو نفسه وغيَّر كلامه في فيلم "وحدن" للمخرج الفلسطيني فجر يعقوب، والذي تمحور حول القصيدة وأسطورتها، فقد حاول حيدر الإيهام بواقعية القصة وخيالها في آن معاً، تاركاً الباب مفتوحاً للاجتهادات والتأويلات!
ولطلال حيدر سوابق مع ذلك، فقد قال في حوار تلفزيوني عن قصيدته "هالكان عندن بيت.." إنه كتبها لما تذكر تفاصيل بيت البستنجي علي عوض في الضيعة. ليقول في أمسية بعمان لاحقاً إنه كتبها عن امرأة فلسطينية لاجئة تعرف إليها في لبنان!!
فاستمتعوا بحكايات وقصص أهل الفن والأدب، ولكن لا تكونوا شهوداً في محكمة أحدهم، فلربما وقعتم في شهادة زور وأنتم لا تعلمون.

شويخ من أرض مكناس

درة شعر "اللغة الوسيطة"

شويخ من أرض مكناس وسط الأسواق يغني
أش عليا من الناس وأش على الناس مني
أش عليا يا صاحب من جميع الخلايق
إفعل الخير تنجو واتبع أهل الحقائق
لا تقل يا بني كلمة إلا أن كنت صادق
خذ كلامي في قرطاس واكتبوا حرز عني
أش عليا من الناس وأش على الناس مني

ثم قولٌ مبينٌ ولا يحتاج عبارة

أش على حدّ من حدّ افهموا ذي الإشاره
وانظروا كبر سني والعصا والغراره
هكذا عشت في فاس وكذاك هون هوني
أش عليا من الناس وأش على الناس مني

هذه قصيدة تعود إلى ثمانية قرون خلت، وهي من الزجل الأندلسي، للشاعر الصوفي الأندلسي أبو الحسن الششتري، الذي ولد جنوب الأندلس في وادي آش عام 610 هجرية/ 1213 ميلادية، وعاش في المغرب ومصر وفيها توفي بدمياط عام 668 هجرية/ 1269 للميلاد.
القصيدة التي لحنها وغناها الفنان البحريني خالد الشيخ عام1982 وغناها كذلك عدة مطربين عرب، كتبها الششتري وهو في أول طريق التصوف، بعد طلب شيخه الصوفي "ابن سبعين" منه أن يتخلى عن لباسه الفاخر وحلله ويلبس لباس الصوفية الخشن ويحمل عصا ويطوف في الأسواق ينشد في حب المصطفى.
فكتب الششتري هذه القصيدة الزجلية الطويلة وظل يطوف في الأسواق يغنيها ثلاثة أيام.
وللششتري تواشيح وقصائد وأزجال كثيرة، غنى المطربون العرب كثيراً منها، وما كنا نظن أن قصائد العامية تعود إلى ثمانية قرون خلت، وإنها في الحقيقة تعود إلى ما قبل ذلك بنحو قرنين من الزمن.

مرّينا بيكم حمد

مَرّينا بيكم حَمَد، واحنا بقطار الليل
واسمعنا دقّ قهوة
وشمّينا رِيحة هِيل
يا ريل صِيح بقهر
صيحة عِشق، يا ريل
هُودَر هواهم، وِلَك

حَدر السنابل قطا

جِيزي المحطة
بْحزِن
وْونينْ
يَفراقين
ما وَنسونَا بْعشِقهم
عيبْ تتوَنسينْ
يا ريل جيِّمْ حِزن
أهل الهوى مْجيمين
وهودَر هواهم ولَك
حَدر السنابِل قطا

يا ريل
طْلعوْ دَغَش
والعشِق كذابي
دِق بيّه كل العُمر
ما يطفى عطَّابي
نتوالَف ويّا الدرب
و ترابَك ترابي
وهودَر هواهم ولَك
حَدر السنابل قطا

آنا أردْ ألوق لْحَمَد ما لوقن لغيره
يجقّلْني بَرد الصبح
وتْلَجْلج اللَير.

يا ريل بأول زغرنا
لَعبْنا طُفيرّه
وهودَر هواهم ولَك
حدْر السنابل قطا

القصيدة الخالدة، النشيد الوطني العراقي الموازي، رائعة مظفر النواب التي لحنها طالب القرغولي وغناها ياس خضر، الريل وحمد.

تقول قصتها التي رواها مظفر في أحد لقاءاته: إنه كان مسافراً في قطار بالدرجة الثالثة مع عامة الناس، وأمامه تجلس امرأة أربعينية جميلة المحيا متعبة الملامح، جافى عيونها النوم رغم مشقة وطول الطريق.. فأثارت اهتمامه وتبادلا أطراف الحديث، وحكت له قصة عشقها التي صاغها في قصيدة "الريل وحمد".
إذ كانت لها علاقة حب بابن عمها واشتهر أمرهما بين الناس، وبما أن العادات والتقاليد لا تسمح بزواج من ينتشر أمر عشقه، كما عادة العرب منذ الجاهلية، لم يتزوجا، وهربت إلى بغداد، وكانت تمر بين وقت وآخر بقرية حبيبها (أم الشامات) تقف على أطلال الحب القديم.. والقصيدة تشرح حال العاشقة ومشاعرها وتتمثل حالتها.
يقول مظفر النواب إن الحادثة جرت عام 1956، وأنه شرع في كتابة القصيدة فوراً، لكنها تركها، ولم يعد إليها إلا في عام 1958 حيث أكملها، أما الأغنية فظهرت في سبعينات القرن الماضي.

طه حسين والزجالون "الأبالسة"

زار طه حسين مدينة زحلة في لبنان، خلال النّصف الأوّل من القرن الماضي، عندما كان وزيراً للمعارف، فاحتفى به أهلها أيّما احتفاء، وكان قد سمع عن شعراء الزجل في لبنان وبراعتهم المذهلة في الارتجال وأراد أن يختبرهم بنفسه.. فاصطحبه مضيفوه إلى أمسية لفرقة "شحرور الوادي" الزجلية الشهيرة، وما أن أطل عميد الأدب العربي

بطربوشه الطويل ونظارته السوداء التي تخفي عماه، حتى نهض شحرور الوادي مُرحّباً وارتجل:

أهْلاَ وسَهْلاَ بطَـهَ حْسَيـنْ/ لاَزِمْ لُو عَيـنَـيْـنِ اثْـنَـيـنْ
العَيْـنِ الوَحْدَهْ بْتِـكْفِّـيـنِـي / خْـذْ لَكْ عَيْنْ وخَـلّي عَيـنْ

فضجت القاعة بالتصفيق، وقام الشاعر الثاني في الفرقة علي الحاج، وارتجل:

أَهْـلاَ وَسَهْلاَ بطَـهَ حْسَـيـنْ/ بِـدْنَا انْـقَـدِّمْلُـو عَـيْـنَـيْـنْ
تَـكَرَّمْ شَـحْـرُورِ الـوادي / مِـنُّو عَيـنْ، ومنّـي عَـيْـنْ

فتناول الردة أنيس روحانا، الشاعر الثالث في الفرقة، وقال:

لا تـقْبِـل يَا طَـهَ حْسَيـنْ / تَـاخِـذْ منْ كِـلْ واحِدْ عَـيْن
بْقَـدّمْـلِـكْ جوز عْيـُونِي/ هْديَّه لاَ قرْضَة ولاَ دَيـنْ

ليختم طانيوس عبده، الشاعر الرابع في الفرقة، بقول جامع مانع:

ما بيلزم لطَـهَ حِسَيـنْ / عَيـنْ وْلاَ أكـثـرْ منْ عَيـنْ
اللّه خَصُّـو بْعَيْـنِ العقْلْ/ بيقَـشعْ فِيـها عْ المَيْـلَيْـنْ

فما كان من طه حسين إلا أن صاح: الله... إيه دول؟ أبالسة؟!

رمضان جانا

قصة النشيد الشعبي لرمضان

رمضان جانا وفرحنا به

بعد غيابه، وبقاله زمان

غنوا وقولوا شهر بطوله

غنوا وقولوا

أهلا رمضان .. رمضان جانا.. أهلا رمضان.

مئات الأغاني لشهر رمضان، قديماً وجديداً، لم تستطع أي منها إزاحة أغنية محمد عبد المطلب "رمضان جانا" عن القمة.

الأغنية التي أذيعت لأول مرة عام 1943 والتي حظيت بمئات ملايين مرات الاستماع والمشاهدة منذ ذلك الوقت حتى الآن، لها قصة طريفة وموجعة نوعاً ما.

الكلمات كتبها الشاعر حسين طنطاوي، أحد أشهر الشعراء الذين كانوا يكتبون للإذاعة المصرية وقتها، عهد بها بداية إلى الفنان محمد شوقي الذي كان مؤدياً في فرقة منيرة المهدية، ولحنها سيد مصطفى، إلا أن الأغنية لم تجد صدى في نسختها تلك، فأعطاها مجدداً للملحن العبقري محمود الشريف، الذي أعطاها لحنها المشهور بين الناس، وأراد أن يعهد بها إلى المطرب أحمد عبد القادر الذي نجح في الكثير من أغاني رمضان حينها، لكن عبد القادر اعتذر واقترح إعطاءها للفنان محمد عبد المطلب، وقَبِلَها عبد المطلب بداعي الحاجة المادية لا أكثر، وفق قوله، فقد كان الفن كاسداً إبان الحرب العالمية الثانية، وكان عبد المطلب بحاجة الستة جنيهات التي سيتقاضاها عن الأغنية من

الإذاعة المصرية، نعم، أجره عن الأغنية كان ستة جنيهات، وخمسة للملحن، وتسعة للفرقة، لتبلغ تكلفة إنتاج أغنية "رمضان جانا" عشرين جنيهاً مصرياً لا غير.

محمد عبد المطلب قال في مقابلة إنه لو تقاضى جنيهاً عن كل مرة استماع لأغنيته، لأصبح مليونيراً، وأضاف أن أغنيته غدت النشيد الرسمي لرمضان.

أغنية خالدة عمرها ثمانون عاماً، تحيلنا إلى مصطلح "الزمن الجميل" الذي لا نكل ولا نمل من تكراره والحنين إليه، ويتكاثف هذا الحنين حد الهطول مع إطلالة رمضان.. فهل نحن مرضى بالماضي أم أن "الزمن الجميل" جميلٌ حقاً؟

1. الغلاف
2. أكاذيب نحبُّها
3. تحقيقات
4. أسرار القصائد وحكاياتها
5. بردة البوصيري
6. محكيّات